

مَجْلَمُ الْعِلْمِ الْعَرَبِيِّ

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٤٩ هـ ١١٩

وليمة ابن ولسانة

وصف المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي أحوال القرون الاسلامية الماضية وذكر مميزات كل قرن منها . وقال : ان القرن الرابع قد امتاز على بقية القرون بغلبة (خيالات الصوفية) عليه .

وقوله هذا . سلم بالنسبة الى ما عدا فطرنا الشامي من مجموعة الأقطار الاسلامية . اما هو فأرى ان خيالات الصوفية لم تكن الغالبة عليه وانما الغالب عليه كان اللهو والطرب والتمتع بملذات الحياة على اختلاف ضروبها . وننوع أشكالها : فقد كان لسور يا في القرن الرابع حالة سياسية منقلقة جعلت السور بين يستسلمون للقدر فيما يتعلق بامور الملك والسياسة . ومن طبع الاستسلام للقدر ان يولد في نفس صاحبه فتوراً عن الكد والعمل وميلاً الى الراحة في ظلال النعيم . والنفر ينج عن القلب باللهو والطرب . وضروب المسليات . ومن هنا يمكن التوفيق بين ما قلناه عن طبيعة القرن الرابع وبين ما قاله الكواكبي : فهو يقول ان خيالات الصوفية كانت الغالبة عليه وقلنا نحن ان الاستسلام للقدر ثم للهو هو الغالب على أهله . ولكن ألبس هذا الاستسلام اثرًا من آثار خيالات الصوفية ؟ أليست خيالات الصوفية التي تسربت الى أذهاننا من متصوفة الأعاجم هي التي زعدها في الملك والسياسة وسهلت علينا الخضوع للعناصر الأعجمية . وجعلتنا نستسلم للقدر . ونهيم بالسوالف

(١) محاضرة للاستاذ المغربي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق بتاريخ

٢ و ٩ تشرين الثاني من سنة ١٩٢٨ م .

والطور . ونلمو بشرب الراح وعزف الوتر .
وهذا عمر الخيام الأعجمي ما الذي جعله يعيش معيشته الابهقورية لولا الخيالات الصوفية .

حالة سوريا في القرن الرابع

كانت سوريا كالزورق المستمسك بحبل الخلافة العباسية فلما ضعف شأن هذه الخلافة بتغلب آل بويه الأعاجم عليها في القرن الرابع للهجرة انقطع حبل السفينة فتاهت في عرض البحر . واذ ذاك اخذ أمراء مختلفو الجنسية يتجاوزون تلك السفينة من كل جانب : بعضهم يدعي ولايتها باسم خلافة بغداد العباسية وبعضهم باسم خلافة مصر الفاطمية . ولا ننسوا علوج الروم الذين كانوا في ذلك القرن يتواثبون على سوريا من ثغور آسيا الصغرى . ولا القرامطة ورفق الباطنية . ولا شراذم الأعراب التي كانت تعيث فساداً في الشامات فتروع آنيها . ونقلق راحة ساكنيها . وقد اتصلت هذه الحالة المزعجة بؤمن أبي العلاء المعري فوصفها وأشار الى ان عاطفة حب الوطن هي التي جعلته يألف الشام وحببت اليه الإقامة فيها . فقال مشيراً الى ما كانت تقاسيه البلاد من أذى الأعراب :

(ألفت بلاد الشام إلف ولادة
نلاقي بها سود الخطوب وحرها)

(فطوراً نداري من سبعة ليثها
وحيناً نصادي من ربعة نمرها)

وبظهر ان أبا العلاء في آخر الامر ملّ مداراة قبيلتي ربعة وسبعة ولم يعد يطيق الصبر على أذى ليثها ونمرها . فرحل عن الشام الى بغداد وقال بخاطب نافته :

(اذا دنوت لشام اد مررت به
فكنّ به وراء الظهر اد حيسيدي)

(قد غتر الدهر منه كل مبيح
والحد السيف فيه بعد نوحيد)

ثم عمّ الخطب بلاد الشام : فزحف عليها الصليبيون ونقصوها من أطرافها . واستولوا على معرة النعمان فرحل عنها ساكنوها يحملون معهم البؤس والشقاء . حتى قال قاضيها ابوالجهد المعري واصفاً ما كابده سيفه غربته . وما قاساه من بلادة غلامه (شعيا) الذي كان في خدمته :

(زسان غاض اهل الفضل فيه
فسقياً للنبوت به ورعيا)

(أساري بين أتراك وروم
وفقد أحبة ورفاق شعيا)

ولكن في ظلّ هذا الاضطراب السياسي والقلق الاجتماعي الذي استحوذ على بلاد الشام كانت تنمو العلوم والآداب . وتزدهر فنون الحكمة والطب والفلك : فكان في ذلك العصر اكبر المؤلفين . وأشهر الفلاسفة والشعراء والمتأدبين . وقد غصت دور الكتب بالأسفار وآثار العلم الخالدة . وناهيك مكتبة آل عمار الشهيرة في طرابلس الشام .

وما أشبه حالة القرن الرابع بعد الاسلام بحالة عرب الجاهلية قبل الاسلام : فقد كانت عرب الجاهلية في أحط الدرجات من الوجهة الاجتماعية وان شئت قلت السياسية أيضاً . لكنهم كانوا في مستوى راقٍ من بلاغة القول والذوق في الشعر والحكم وضرب الأمثال . وكما كانت ربوع العلم والعرفان زاهرة في بلاد الشام . وكانت مجالس رؤسائها أشبه بنوادي أدب وشعر — كذلك كان شأن الحضارة وانفساح العمران وتوفر اسباب الترف والنعيم ورغد العيش .

هكذا كانت البيئة الشامية يومئذ .

نرى من جهة حكماً أعاجم يسوسون البلاد بالظلم والقهر . ومن جهة ثانية كنت ترى سوق العلم والأدب والشعر رائجة . وقد مهدت الحضارة امام الكافة طرق العيش الهني . والحياة الرغدة .

بيئةٌ هذا شأنها لا بد ان يطرح اهلها عن عوائقهم عبء الاهتمام بالسياسة والشؤون العامة وان يقبلوا على اللهو والطرب . والاصغاء الى أغزل الشعر وأفكه . وعدم التصوّت من سماع أمجن القول وأخشه .

في مثل هذا الوسط كان يعيش عبدالله بن الحجاج وابن سكرة والبيغاء والحسين بن واسانة صاحب لوليمة . وأضرابهم ممن كانوا يجنون ثمار الممذات . من بين اشواك الفتن والاضطرابات . ويرشفون كؤوس المسرات . ولو تحت مشجر القنا وظلال المشرفيات . نرجع القهقري في عصور التاريخ الى حوالي (سنة ٣٨٥هـ) لنصور حالة دمشق نفسها : الأمر والنهي فيها يومئذ للعامة والأحداث^(١) وجنود الغاربة . اما الخاصة والأشراف فاذا يكون لهم من التأثير والنفوذ إزاء هذا الجيش المختلط المتنذر .

(١) وكما أنهم يريدون بالأحداث ما نريده اليوم بكلمة قبضايات وفتوات .

نزور جامع دمشق . ونمر في أسواقها . ونغشي دور عظمائها . ومجالس علمائها . فلا نسمع الا همساً . والا قولهم تباً ونعساً .
نسمع هذا يقول :

ومتى ينظر المولى تعالى الى دمشق فينقذها من ظلم عمال الفاطميين ؟ ها ! اننا لم نكن ننجو من (نجوتكين) و (ابن تميم) حتى جاءنا هذا الجبار (ابن الصمصامة) . حقاً ان ظلم هؤلاء هو الذي جعل بني حمدان امراء حلب ! - ينجدون بباسيل (باسيليوس) ملك الروم .
فأجابه آخر :

وهل تظن ان الروم أشفق علينا . وأرحم بنا من امراء الفاطميين ؟ أنسيت ما فعله (البرجي) عامل الروم على انطاكية - باهل اللاذقية ؟ بل أنسيت ما كان من (باسيل) نفسه منذ جاء بلاد الشام على اثر استيلاء الحمدانية به . فنزل على أبواب حلب . فرحب به امراؤها آل حمدان . ثم سار الى حمص ففتحها وحاصر طرابلس الشام اكثر من اربعين يوماً ثم عاد الى القسطنطينية . اما والينسا الفاطمي (ابو تميم) فلا أتم الله عليه نعمته : جاءنا بعد ان غدر بنا اخوه (علي) فواسانا . وطيب خواطرننا في اول الامر . ثم ظهر لنا من حاله ما لم يكن في الحساب . وإن انس لا انس ذلك اليوم الذي جاء فيه الى جامع بني أمية يصلي الجمعة سيف ذلك الموكب النخم . وقد ظهر على الناس بزي أهل الوفاق . وبين يديه القراء والحجج يقرءون الدرام على المساكين . وبعد ان صلى عاد الى قصره بظاهر دمشق وجعل ينظر في الظلمات ويأمر باطلاق من في الحبوس . وبهذه الصورة استمال اليه قلوب العامة فأحبوه . ولكن ما عثم ان انكشف امره . اذ تبين للناس انه مع سياسته وحسن ادارته كان مستهتراً بالملذات . فنقمت منه العامة والجنود . وهجموا عليه في قصره . ونهبوا خزانته . وأوقعوا برجاله . وهرب هو فلم يوقف له على أثر . وسادت الفوضى في دمشق . وخلال الجوه للأحداث والسطار ولرئيسهم (الدهيقين) الذي تولى قيادتهم . وعرف كيف يستثمر شطارتهم . واستمر المخرج والمخرج حتى جاءنا (ابن الصمصامة) موالي من قبل الفاطمي صاحب مصر . نخاف زعيم الأحداث (الدهيقين) من (ابن الصمصامة) فتسأل هارباً الى مصر طالباً الأمان لنفسه .

ولم يكذب صاحب الحديث يثم حديثه حتى ناداه آخر — وبظهر من لحيته انه من اهل الساحل — فقال :

ما أشبه دهيقينكم يا اهل دمشق بعلافة امير اهل صور . وأظنكم لا تعلمون من امر علافتنا هذا شيئاً : هو رجل نوقي . عصى مع اهل صور مارقاً من طاعة ملك مصر . وضرب سكة باسمه وكتب عليها (عزت بعد فاقة الامير علافة) . فأرسل اليه ملك مصر اسطولا مشحوناً بالمقاتلة . فاستنجد الامير (علافة) بالروم كما استنجد بهم قبله الحمدانيون ملوك حلب . فأنفذ ملك الروم الى معونة علافة اسطولا فالتقى الاسطولان ثم كانت الغلبة للمصر بين على لروم . وفي آخر الامر أمسك علافة . وعاد الى الدل والفاقة . وأرسل الى مصر فسلخ وصب غير مأسوف عليه .

ثم قال الساحلي يخاطب اهل دمشق : كيف رأيتم : أليس ان دهيقينكم كانت أشد فطانة من (علافة) صور مذ بادر الى مصر وطلب الامان لنفسه ؟

فقال احد الحاضرين : دعونا بالله عليكم من (علافة) و (دهيقين) وفكروا في حالتنا الحاضرة : فكروا في (ابن الصمصامة) الذي عاد من مصر اليها . وتزل نزول البلاء طينا . استقبلناه وهنأناه بالدعاء له وأخطينا له قرية (بيت ليا) سيف الغوطة ليكون مقامه فيها مع عسكره . فأظهر لنا في اول الامر العدل . وتخفيف الثقل . وبالغ في الحفاوة : فغلب على رؤساء الأحداث . وطمعهم على الخيل والبغال . ووهب لهم الجوارى والغلمان . وعين بعضهم له حجابا . ثم لم يلبث ان قلب لهم ظهر الحزن فأوقع بهم وزحف بعسكره من (بيت ليا) على سور دمشق فثلثه . وسمح لجنوده المغاربة ان ينزلوا في منازلنا وجعل بطوف في دمشق للبطش والتنكيل والناس يلوذون به مستغيثين طالبين لرحمة . فكيف عنهم واستدعى اليه اشراف دمشق فجأؤوه مطمئنين حتى اذا استراحوا اخرج رؤساء الأحداث الذين في سجنه فضرب أعناقهم والاشراف ينظرون اليهم . ثم صلب كل واحد في محلته . وجر دعوهم الى المرج والغوطة وامرهم بوضع السيف في من بها من الأحداث . ثم عاد فقبض على الاشراف ونفاهم الى مصر وصادرهم في اموالهم ونعمهم . ووضع غرامة على اهل البلد بلغت خمسمائة الف دينار . والذين قتلوا في هذه الكارثة فقد بلغوا نحو ثلاثة آلاف نفس .

هكذا كانت نار الغنّة تضطرم في دمشق : رقاب تُضرب • وشبان تُصلب • وأموال تُنهب • وأشراف تُنقى وتغرّب • وابن واسانة^(١) منهك في إعداد وليمة في قرية (جرايا) الضيوف قادمين عليه من دمشق •

اليوم صحو • والهواء عليل • وغوطة وادي بردى كحساء مستنقية في ذلك الوادي • قد نقت قدميها في مياه النهر وأسندت رأسها المكلل بأغصان الحور الى هضبة من مضاب الربوة • واستغرقت في نوم عميق لم يوقظها منه الا أشعة الشمس • وخرير المياه • وزقزقة العصافير • وإلاّ ضوضاء الضيوف المسرعين الى وليمة (ابن واسانة) •

فكنت ترى هؤلاء المدعوين يتراكضون على ظهور عتاق الخيل • وفُرّة البراذين : هذا يغني • وذلك ينشد الشعر • والآخرون يطارح رفيقه النكتة • ولطيف المداعبة • يخلل ذلك كله صهيل الضوامر • وأصوات وقع الحوافر • وعططة الخدم والاتباع • يتبادلون السباب • ويتنايرون حسب عادتهم بالأنقاب •

وليمة (ابن واسانة) هذه في قرية (جرايا) لها دوي في أعماق كتب الأدب والتراجم : فقد دوتها الشعالي في البيّمة (جزء ١ ص ٢٦٦) وخلد ذكرها يافوت في معجم الادباء • وهاهي قد مضى عليها زهاء ألف سنة وما زالت رطبة في الافواء • حلوة الوقع على الاسماع •

إذن يلزمنا ان نعرف (١) من هو ابن واسانة ؟ (٢) اين هي قرية جرايا ؟ (٣) كيف كانت هذه الوليمة ؟ (٤) ماهي حالة جرايا اليوم ؟

ابن واسانة

هو ابو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني • ويظهر من هذا النسب ان (واسانة) اسم لاجدى جدانه أو أجداده فنسب اليها اواليه • وسماه (يافوت) في معجم الادباء (ابن واسان) • وقال صاحب البيّمة (جزء ١ ص ٢٦١) في ذمته

(١) الحوادث التاريخية التي سردناها في هذه المحاضرة وقعت حوالي سنة ٣٨٥ هـ ولا ريب ان وليمة (ابن واسانة) وقعت ايضا في ذلك الزمن • لكن لانعلم في اي سنة كانت • اما وفاته هو ففي سنة ٣٩٤ هـ •

(هو العجوبة الزمان ونادرته . وفريد عصره وباقعته . وهو واحد الفضلاء . المجدين في الهجاء . وكان في زمانه . كل من الرومي في أوانه) هذا ما قاله الشمالي . ويستنتج من تضاعف كلامه ومن قصيدة هجومية لابن واسانة هجاءها ابا الفضل يومئذ بن علي — ان ابا الفضل هذا كان والياً على دنوان الخراج والضباع في دمشق وكان ابن واسانة كاتباً عنده وكان مَذَشَّاً او (مَذَّي) بن ابراهيم القزاز اليهودي موظفاً في دنوان الخراج بل ربما كان رئيس كتّاب ذلك الدنوان . فحمل الطيش ابن واسانة على نظم قصيدة في هجاء رئيسه (ابي الفضل ومنسى) وكان هجوم . غاية في الإفذاء والفحش . فما كان من ابي الفضل الا ان عزله فبقي من دون عمل طول عمره ثم مات (سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م) .

اما إخفاشه في شعره . فربما فاق فيه رصيفه ومعاصره عبد الله بن الحجاج (٣٩١ هـ ١٠٠٠ م) فكان ابن الحجاج زعيم الهجائيين في العراق . كما كان ابن واسانة زعيمهم في بلاد الشام .

وكان شعراء ذلك العصر الهجائيون يخيفون الرؤساء وكبار رجال الدولة ويحملونهم على إكرامهم وتقليدكم الوظائف والأعمال . لا باللائس أو إبراز شهادة بل بقوة التهديد والهجو وهتك الامتياز عن قبيح الاسرار وهي الطريقة التي يسميها أدباء الافرنج شانتاج (Chantage) فاشاعر البسامي البغدادي المتوفى في زمن الخليفة المقتدر (٣٠٣ هـ ٩١٥ م) هدد رؤساء الدولة لم يولّوه عملاً فقال :

(قل للرؤوس ومن تُرجى نوافلهم ومن يُؤمل فيه النفع والعمل)
(انت تشغلوني بأعمالٍ أصيرها شغلاً والا ففي أعراضكم شغل)

ابن واسانة دمشقي او حليبي ؟

في قصيدة (ابن واسانة) الآتية بيت من الشعر وصف نفسه فيه بأنه (غريب ناء عن الاوطان) إذن هو غريب دمشق . وفي حلب حمام يسمى (حمام الواساني) فهل ابن واسانة حليبي ؟ جاء في كتاب (نهر الذهب في تاريخ حلب) مانصه : (الحمام الذي يعرف بالواساني ويقال له (الواسانو) قديم جداً : قال صاحب كنوز الذهب : في هذا الحمام جرت امود يُذكر ان الخليل ابراهيم عليه السلام اغتسل منه ولم يزل هذا الامر مشهوراً حتى

الآن . وهو حمام مبارك بدخله الناس للتبرك بآثار الخليل عليه السلام و يحصل لهم الشفاء من أمراضهم خصوصاً النساء . ولم يزل يزعم من يستأجر الحمام ان الجرثون موجود فيه حتى الآن والحمام من أوقاف الحاج موسى الالميري اه .

وكتب اليّ بعض فضلاء حلب وقد سأله عن الواساني فقال :

« الواساني رجل له حمام يجلب ينسب اليه . والحمام موجود الى اليوم في سوق حاتم وراء الجامع الكبير تابع لوقف الالميري ويسميه العامة (حمام الويساني) بالأمالة . قال الرضي الحنبلّي في كتابه (الزهد والفخر) الواساني هو الذي ينسب اليه الحمام يجلب واسمه الحسن وكان شاعراً هجاءً وان كان العوام يعتقدونه اليوم من الاولياء وارباب المزارات اه .

ومن هذا نفهم ان باقي الحمام في حلب هو ابن واسانة صاحب الولاية في قرية ججرايا بدليل ما وصفه به من انه كان شاعراً هجاءً . غير انه سماه الحسن وصوابه الحسين كما في يتيمة الدهر . فهل يصح لنا الحكم بانه حلبي ؟ كلا : فان الشبهة في نسبته الى حلب ما زالت موجودة بدليل ان في كتاب (يتيمة الدهر) قصيدة موجهة لابن واسانة ومطلعها :

(يا ساكني حلب العواصم جادها صوب الغمامة)

(انا في مدينتكم غريب - لست من اهل الإقامة)

فالله يعلم ان كان مسقط رأس ابن واسانة قبل انه يسكن (حلب) و (دمشق) اولعله يريد بقوله (انا في مدينتكم غريب) انه كالغريب في عدم وجود اصدقائه او في سهولة رحيله عنها فهو لا يهاب من هجوم ولا يخشى بطشهم على حد قولهم (لاتعاند من اذا هدّ رحل) فيكون حلبيّاً وأقام في دمشق طويلاً .

قرية ججرايا

هذه القرية من قري دمشق وقد كان لما يوم أقيمت فيها وليمة ابن واسانة منذ ألف سنة شأن عظيم . ثم انحطت في عمرائها حتى أصبحت مزرعة صغيرة واخذ اسمها (ججرايا) بنضال و يتلأش من الاسنة شيئاً فشيئاً اللهم الا من السنة أكرارها القليلين الخاملين . وما زاد في غموض امرها وضياح اسمها ان جيها كانت لتصحف في كتب الأدب واللغة :

ففي (اليتيمة) اسمها (جمرانيا) بالخاء المعجمة . وكذا في تاج العروس : فقد روي مؤلفه بيتي
احمد بن منير هكذا :

(بالنير بين فقرى فالسرير فخم - رايان جو حواشي جسر جسرين)
(فالقصر فالمرج فالبلدان فالشرف الأعلى فسطرا فجرمانا فقلتين)

وذُكرت (جمرانيا) في معجم الادباء باسم (جمرانيا) بالخاء المعجمة . اما في (معجم البلدان)
فذكرت مرتين مرة باسم (جمرانيا) بالهمزة ومرة باسمها الصحيح (جمرانيا) بالجمجمة المعجمة وذلك
بمناسبة الكلام على نهر بردى فقد قال : ان عيوناً تظهر على مقربة من الزبداني فتصب
في قرية النجعة وتضم اليها عين أخرى . ثم يخرج الجميع الى قرية تعرف بجمرانيا (وقد
ضبطها بالشكل بضم الجيم) فيفترق الماء حينئذ فيصير اكثره في بردى ويحمل الباقي
نهر يزبد » اه .

هكذا تصحف اسم هذه القرية وكادت هي نفسها تنطمس ايضا حتى اني سألت الذباء
المعمرين من اهل دمشق فلم يعرفوها لا باسمها الحقيقي ولا باسمها المصحف . وأجدر
الناس بالخبرة هم أدباء دمشق وعلمائها الذين كانوا يقرأون حكاية وليمة ابن واسانة في
كتاب اليتيمة المطبوع في بلدهم ويقنون لو يعرفون ان هي قرية جمرانيا التي أقيمت فيها
الوليمة وكان أشدهم حيرة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري فقد مات وبقيت في قلبه
حسرة من (جمرانيا) كما مات الاصمعي وفي قلبه حسرة من (حني) .

ولما طالعت (اليتيمة) في شهر مايس سنة ١٩٢٦ وقرأت وصف الوليمة الواسانية
شاركت الاخوان في حديثهم وأخذت أسأل عن قرية (جمرانيا) وأراجع عنها في
المطآن وكنت كلما أوغلت في المراجعة ارتطمت في الشبه والشكوك .

ثم اتفق في أثناء الحرب العامة ان الاستاذ الشيخ عبد القادر الخطيب احد خطباء
الجانح الأموي ملك قطعة ارض في مزرعة (جمرانيا) فعلم من اكادريها ان اسم مزرعتهم
(جمرانيا) بالجمجمة وبالطبع كان اسمها كذلك في اوراق التملك الرسمية التي بيده . وقد بنى
الاستاذ ثمة داراً حسنة وجعل يتحدث اخوانه عن (جمرانيا) وجمال موقعها وطيب هوائها .
و يدعوهم الى زيارته وبهذه الصورة نشرت قرية (جمرانيا) من مطمورة العدم وعادت

فولدت من جديد باسمها الحقيقي وظهر ان محلها وادي بردى على فيد غلوة من قرية الهامة
منزله اهل دمشق المشهور .

وقال بعض الفضلاء « ان قرية جبرايا كانت موقوفة على احدى مدارس دمشق »
واذن لا بد ان يكون لها ذكر في كتاب (الدارس في المدارس) فلعلنا نظفر به ونحن
نصح هذا الكتاب اليوم ونعده للطبع والنشر .

وسمعت فاضلاً آخر يقول : ذكر باقوت في معجم البلدان (ان قرية يقال لها جبرايا
واقعة بين الهامة والأشرفية كانت قديماً مصيفاً للملك دمشق) ولم أعثر على هذا النص في المعجم .

وليمة ابن واسانة

عرفنا ترجمة (ابن واسانة) وشيئاً عن قرية (جبرايا) بقي علينا ان نعرف ما هي الظروف
التي جعلت ابن واسانة يقيم هذه الوليمة في جبرايا ؟

لم نوصف هذه الوليمة ثراً في كتب الأدب وإنما وصفها صاحبها ابن واسانة شعراً
بقصيدة قالها فيها : والقصيدة نحو مائتي بيت ذكرها الثعالبي في (البتحة) ثم قال مانصه :
« قد أحسن في هذه القصيدة غاية الاحسان . وأبان فيها عن مغزاه احسن بيان .
ونصرف فيها واطال . وامكنه القول فقال . واذا تخلص الشاعر عند الإطالة والوصف
هذا التخلص . سلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا يدرك غوره .
ولا يخاض بحره اه .

ويمكننا ان نستخرج اسباب هذه الوليمة من القصيدة نفسها التي قيلت فيها: فقد كان يوجد
في دمشق في ذلك العهد رجل من الاشراف يكنى (ابا القاسم) وله اخ اسمه (الفضل) ويظهر
انها كانا صديقين للشاعر ابن واسانة وانها من أصحاب الجاه والظهور والخلول والاتباع .
فكلفا ابن واسانة ان يصنع لها وليمة في قصره في قرية (جبرايا) وكانت معها جمع من
الأصدقاء والأدباء . منهم رجل اسمه (الشمولي) ولعل الشمولي هذا هو (بدر الشمولي) الذي
نقله ولادة دمشق سنة ٣٦٣ هـ وان لم يكن هو فواحد من ذريته . وكان في جملة المدعوين
(بنو الجي صفوان) ورجل اسمه (ابن المشر) وصديقان لابن واسانة لم يصرح باسمهما : احدهما
أديب والآخر كاتب . وبفهم من القصيدة ايضاً ان لابن واسانة ولداً صغيراً يحبه اسمه

(ميمون) : ذكر في القصيدة ان الخروج الى الوايمة كان ليلة الخميس المصادفة ليلية عيد المرافق . ولم يعين سيفه أبة سنة كانت الوليمة . وأشار الى ان قرية (جمرابا) تبعد عن دمشق تسعة أميال . وقد مر ان جمرابا على غلوة من الهامة والهامة تبعد عن دمشق ١٣ كيلومتراً . وفيما عدا ذلك استوعبت القصيدة اسماء المآكل والمشارب ونفقا من أحوال ذلك الزمن الأخلاقية والاجتماعية مما يجرح عليه كل من يهجمه الوقوف على تاريخ دمشق وأخلاق أهلها وحالة عمرانها منذ ألف سنة .

ولعمري ان في هذه القصيدة الحادثة اكبر دليل على درجة الترف والرغد الذي كان يتمتع به اهل دمشق في ذلك العهد . ولا تطيل في وصف القصيدة وما يستخرج منها من الفوائد اللغوية والأدبية والتاريخية بل ندع ذلك لها ولقاتلها (ابن واسانة) فها أفصح أساناً . وأروع بهانا .

تعملون ايها السادة ان الألفة وارتفاع الكلفة اذا استحكما بين شخصين وبين من يدعوهم الى ضيافته فكثيراً ما يأخذ هؤلاء الضيوف بمهيوون الطعام تارة . ويستقلونه طوراً . وبكفون صاحبهم احياناً ان يحضر لهم ألواناً أخرى من الطعام وأطابيه . بل يقومون فيفتشون عنها في زوايا البيت ومخابئه . فيأخذ صاحب الدعوة اذذاك في الصراخ والعلو بل والتبرم بالقوم ورفع الصوت في الدعاء عليهم . بل يحلف انهم خربوا داره . وأفقروا أهله وصغارهم .

يقع هذا بين الأصدقاء في هذه الايام . وعلى هذا الاساس بنى ابن واسانة قصيدته التي قالها منذ ألف عام : فهو يصف المدعوين بالشسرة والنهم وانهم كالجراد المنتشر لم يدعوا سيفه قرينه أخضر ولا يابساً الا التهموه . ولا متاعاً او إناء الا حطموه . وقد سلمك في الوصف مسلك الغلو والتهويل . زيادة سيفه الإحماض والمداعبة واظهار المقدرة في نظم الشعر وحسن التصرف - سيفه أفانين القول وابتكار المعاني . حتى قال باقوت في كتابه (مجمع الادباء) : « انه احسن في هذه القصيدة كل الإحسان . وابان عن مقاصده احسن بهان » . وموعنا بالقصيدة العدد الآتي :

« المغربي »



روح المتنبّي (١)

- ١٢ -

لكل شاعر روح تفيض على جنبات شعره ، ومهما حاول ان يخفي هذه الروح فلا بد لها من الظهور ، لكل شاعر روح ، هذا تعبس الدنيا في نظره فنرى في أضفاف شعره ظلمة الدنيا وعبوسها ، وهذا تبسم الايام في وجهه فنجد في انشاء شعره ضياء الايام وابتهاسها ، هذا يسترسل الى جد الحياة فلا تقع في شعره على شيء من هنزها ، وهذا ينسبط الى هنزل العيش فلا يشعر في فيض قريحته بشيء من جدّه ، شاعر ضياء الامل مستفيض في شعره ، وشاعر ظلمة اليأس شائمة في قريضه ، لكل شاعر روح ، ما هي روح المتنبّي ، ما هي هذه الوثبات التي وثبها في كل مذهب من مذاهب شعره ، في نسبه وراثته ، وفي أماديجه وإهاجيه ، ما هي هذه النزعات التي نزعتها في فقره وغناه ، وفي صوته القلقة ، واكتماله المضطرب .

نشعر ونحن نقرأ شعر ابي الطيب بان الحياة مظلمة الجوانب في عينيه ، كامدة الألوان في نظره ، فلسنا نجد في هذا الشعر اثرًا من آثار بشاشة الدنيا وابتهاس الزمان ، ان في روح المتنبّي شيئًا من الانقباض ، ليس معنى هذا ان ابا الطيب لم يعرف قيمة الحياة ، ولم يقدرها حق قدرها ، فان الذي يقول :

أنهم ولدت فللأمور واوخر ابدًا اذا كانت لمن أوائل
مادمت من أرب الحسان فانما روق الشباب عليك ظل زائل
لهم آونة تمر كآنها قبل ميزودها حبيب راحل

اعارف بموارد الحياة ومصادرها ، وبمداخلها ومخارجها .

(١) سلسلة المخاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

وان الذي يقول :

ولذيذ الحياة أنفس في النفس وأشهى من ان يُملّ واحلي
واذا الشبغ قال افر فامل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولّى

لا يفعل عن اسرار انبساط النفس وانشرّاح الصدر ، وربما أحاط من هذه الاسرار
بما لم يحيط به أعرف الناس بمقدار الحياة ، وما هذه الاسرار الا الصحة والا الشباب ،
واذا المرء لم يرفل من الصحة في برد قشيب ، ولم يتفيا من الشباب وارف الظلال ، لم يجد
للحياة لذّة ، نعم لم يجمل ابو الطيب قيمة الحياة وهو حريص عليها لانها شهية :
المرء بأمل والحياة شهية والشب أوقر والشببة انزق
واقدر بكى على شبابه :

واقدر بكيت على الشباب ولم تني مسودة ولما وجهي رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكنت بما جفني أشرق

وفي هذه الدموع دايمل على حبه الحياة ، وحرصه عليها ، وربما اشدّد هذا الحرص
حتى أخرجه في صباه من شيء من الشجاعة ، وأقمه في شيء من ذل الجبن في بعض
الحالات ، فمن قوله في مدح الحسين بن اسحق الثنوخى وكان قوم قد هجوه ونحلوا الهجاء
الى ابي الطيب :

وما أربت على العشرين سني فكيف مللت من طول البقاء
ومنه قوله للوالي وهو في الاعتقال :

دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كجمل الوريد
دعوتك لما يراني البلاء وأوهن رجلي ثقل الحديد

كل هذا حجة على رغبة المُنْبِي في الحياة ، وتمسكه بها . ومع هذا فاننا لانجد في
شعره اثر انضياء الحياة وبشاشتها ، فكأن الرجل قد حرم حظه من لذتها ، او كأنه لم
يكن له من نضارة شبابه وكمال صحته آلة يستمتع بها على ذوق هذه اللذّة ، أفكان المُنْبِي
يشتكي صحته ، فكثيراً ما اشار في شعره الى نحوه ، ومن هذه الاشارات :

روح تردّد في مثل الخيال اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كفى يحسني نحولاً أني رجل لولا مخاطبتي أباك لم ترني
ومنها :

جمعت بين جسم أحمد والسقم وبين الجفون والتسويد

ومنها :

ولا وقفت بحسب مُسني ثلاثين ذي أرسيم دُرُس في الارسم للدرس
أفكان مصاباً بشيء من المايخوليا التي نجد آثارها في شعره ، فقد اسودت الدنيا
في عينيه ، وقل سروره فيها ، وضاع عمره :

وقت بضيع وعمر ليت مدته في غير أمدا من سالف الأُم
أني الزمان بنوه في شبيبته فسرحهم واتيناه على المرم

واستخف باسم الحياة فلم يبال أطال العمر أم قصر :

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وبقي عيشه مثل ذاهب
وافضي به هذا الاستخفاف إلى شيء من القسوة في مواطن البكاء :

أنبكي لموتنا على غير رغبة نفوت من الدنيا ولا موهب جزل
وما الدهر اهل ان نؤمل عنده حياة وان يشئاق فيه إلى النسل

نعم لم ينظر إلى الدنيا من وجهها الجذبل ، وإنما نظر إليها من ألقها الكئيب ، ففاض
شعره كآفة ، فهو بتصور الموت في كل حالة من حالته ، في صحته واعتلاله :

وان اسلم فما ابقى ولكن سلت من الحمام إلى الحمام

ومن كان هذا نظره في الدنيا فلا عجب اذا هاجت به المايخوليا في بعض الاحيان فطلب
الموت ، لان الموت هو الذي يشفيه مما يكابده من ألم النفس ، واي ألم اشد من روية
الحساد ، ولا سيما اذا كان المحسود مثل أبي الطيب ، يعادونه على فضله الذي يستوجب
محبة ، وبنام عنده ولا ينامون عنه :

أعادي على ما يوجب الحب للفق وأهدأ والافكار في تجول

لا عجب اذا طلب المنجي الموت ، ولقد طلبه لانه فتش عن صديق مخلص له فلم يجده ،
وعن عدو مداح فأعياء ، فالحياة التي لبس فيها صديق مخلص ولا عدو مداح لا يكتر

على رجل مثل المثني ان يطلب فيها الموت ، وهو من هو سيف شدة احساسه وامتياز اعصابه وسرعة حركة نفسه :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب الدنيا ان يكن امانيا
تمنيها لما تمنيت ان ترى صديقاً فأعيسا او عدواً مداحيا
لا عجب اذا كانت المسايا من امانى المثني لانه بين ظهوره في رجال ودم خداع
ودينهم نفاق :

فلم ار ودم الا خداعا ولم ار دينهم الا نفاقا
ان رجلاً هذا هو نظره في الحياة ، ان رجلاً يستوي عنده قصر الحياة وطولها
لانه يرى ان الحياة مصيرها الى الزوال البعيد عن التفرغ لمغالبة الايام ، والسعي في
الحصول على شيء من عظمة الدنيا ، سواء كانت هذه العظمة في المال . في الجاه ، نعم
ان رجلاً هذا مذمبه من عادته ان يقضي في ظلال الهدوء وراحة البال هذه الايام
القليلة التي يعيشها مستمترًا بكل عظمة ، ساخرًا من كل جاء ، لان الحياة في نظره
احقر من ان يزاحم عليها ، ان رجلاً من امانيه الدنيا لانه لم ير صديقاً مخلصاً له ولا شبه
صديق ، ليغيب اليأس عادة على قلبه ، فلا يضرب في مناكب الارض ابتغاء لشيء
من عظمة الدنيا ، ولكن المثني بعيد عن هذا كله ، وهذا موطن من واطن تناقضه في
أخلاقه فقد كانت حياته تجتمع بين الفأل والشؤم ، وتؤلف بين اليأس والرجاء ، وانه
ليرى ظلمة الدنيا الى جانبه اذ يسعى الى ضيائها من جانب آخر ، وانه ليهزأ بطول الحياة
وقصرها اذ يستنفد وسعته في الوصول الى شيء من ظواهر العظمة في هذه الحياة ، ما اقلق
ابا الطبيب ، ما اشد اضطرابه :

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق
فكانت يغضب على الحياة و يرضى عنها ، بحسب حالات نفسه ، وعلى قدر هياج
اعصابه وهدوءها ، لقد غضب على الحياة من الناحية التي رآها مسوَّدة ، ولكنه سعى
في الوصول الى الذي خالج قلبه في هذه الحياة سعياً تقتصر دونه سوايق الاقدام ، وربما
كان ينفخ في بعض سعبيه الى طبقات المستعطين فمرة كان استعطاؤه صريحاً :
أمطر عليّ سحاب جودك ثرة وانظر اليّ برحمة لا أغرق

وصرة كان عربياً :

فما بفقر شام يرفك فاقة ولا في بلاد انت صيها محل
وحيناً كان الاستعطاء مشتتاً على شيء من الثفنن :

فان ثقل : ها فعادات عرفت بها اذ : لا ، فانك لا يسغو بلا فاك

نعم سعى في هذا كله ما كُتبت عزائمه ولا فترت هممه ولا وجد اليأس الى قلبه
سبباً ، فقد عمل لذيابه كأنه يعيش ابدآ ، وكان مذهبه في عمله : الدنيا لمن غلب ،
حاول ان يغلب فما قصّر سحر من كل نائبة نابسه ، وذلل كل عقبة اعترضته ، فلو تجسم
العزم لكان ابو الطيب جسمه ، ولو تصوّر العمل لكان صورته الناطقة ، ان شعره ليفيض
رجولية ، ان شعره انما هو شعر الرجل القوي على متاعب الحياة ، يتناول له عدوه المبين
فلا يخضع من شوكته ، ولا يضعف من عزمه ، واذا نسا به مكان انجح مكاناً غيره ،
سواء أ كانت منتجمه بعيداً ام كان قريباً ، ما اعظم المنبئ في هذا الجلد على القوس
بالآفات ، والمطاعنة للايام فيكاد يكون المثل الأعلى في النزاع والمغالبة ، اوقي من العزم
ما صغر اليه كل عظيم من عظام الدنيا ، حتى نشأت له من هذا كله قوة منيعة استعان بها
كل حسانه ، يحبس الرجل في سبيل امر من الامور ، فيخرج من حبسه ، وبضرب في
الارض لا مطية له الا النمل والاعلف ، فيمدح من يمدح ، ومن يمدوحه من لا يعطيه
على قصائده الا دناراً ، فيصبر ولا يقطع امله من الحياة ، ويتصل بسيف الدولة فيغرق
في نعمه ، فيكيد له من بكيد ، ويحسدونه ، فيترك سيف الدولة ويرجع الى دياره في
الدمي والجهد ، فيأنبه وعد السودان فينجو من شرهم ، ويقصد حضرة كافور الاخشيدي
فلا يكرمه اكرام سيف الدولة ، ولا يسمح له بالجلوس في مجلسه ، ويث عليه العيون
والأرصاد ، ويضمّر قتله ، فينفلت منه ويعود الى سميه ، فيتأمر عليه عبيده فيجز على
احدهم ، ويغلب على امرهم ، ويعود الى العراق فيثور عليه شعراء العراق ، فيهرب من
بغداد ويصل الى بلاد فارس ، ثم يستأذن عضد الدولة في العودة الى وطنه فيجذرونه
من الموت فلا يعبأ بالموت ويهجم عليه فيموت . اظن ان في هذه الامور كلها سلسلة حياة
تكاد تكون منقطعة النظير في الصبر على الشدائد ، والاستعداد لمطاعنة الدهر ، واظن
ان الرجال الذين يصبرون بعد الصدمة الاولى من صدمات الحياة قليل عددهم ، ان كثيراً

من الناس تضعف عزائمهم في اول ضربة من ضربات الزمان ، فالمنبي من هؤلاء الرجال الذين مارسوا الايام ومارسهم ، وصارعوها وصارعتهم ، فما استسلموا ولا انقادوا ، بياغتهم الدهر من ناحية فيستعدون له من ناحية ثانية حتى تمل الايام طوال نزالهم ، فتلقي اليهم سلاحها وتنتطوي دون عزائمهم ، فلو صور العراك والغلاب والماراس اكان المنبي صورة هذه الامور كلها ، فكأنه جعل مذهبه في سيرته ما جرى على لسانه في بعض شعره :

فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا
هنا تظهر رجولية المنبي ، هنا يكون ابو الطيب القدوة لمن يريد ان يقتدي به من الاعاظم الذين لا يكاد يظهر فضلهم حتى لنضافر عليهم المكابد ، ونواطأ عليهم القوائل فاذا جبنوا واستسلموا اطفأ الحساد من نورهم ، واذا شجعوا ومضوا في سبيلهم مل هؤلاء الحساد حسن ثباتهم وماتوا من سخرية الذين يحسدونهم فلا يجدون الى اطفاء النور سبيلا .
في شعر ابي الطيب رجولية نفيض في كل جنبه من جنبات هذا الشعر المنيع ، وما هذه الرجولية الا صورة روحه ، ولقد ابت هذا الروح الا الظهور في كل مذهب من مذاهب شعره ، فسواء عليه أمدح أم هجا ، وسواء عليه أنفزل أم يكي ، ان روحه انقلب عليه في اماديه واهاجيه ، وفي غزله وبكائه . ان هذه الروح ابت الا الوضوح في كل حال من حالاته ، وفي كل طور من اطواره ، سواء أكان فقيراً أم كان غنياً . انكم لتجدونه يبي شقوته ويحجر من رقة حاله وخشونة عيشه ، ومع هذا فان روحه لا تغفل عن النغفي بالذكور ، وعن التنديد بالدل .
فبعد ان يقول :

الى اي حين انت في زي محرم وحق متى في شقوة والى كم

لا يلبث ان يقول :

والا تمت تحت السيوف مكرّما تمت ونقاس الدل غير مكرّم

فنب واثقاً بالله وثبة ماجد يرى الموت في الهيجاجني النخل في النعم

وما كان المنبي الا صادقاً في قوله ، ولقد امتلأ شعره من هذه النزعات السامية والوثبات الكريمة فماخلت فصيدة من قصائده من هذه الروح العالية ، وبيننا نجد يقول :

ضاق صدري وطال في طلب الر - زق قيسامي وقل عنه فعودي
اذ نجاهه بقول :

عش عزيزاً او مت وانت كريم بين طعن القسا وخفق البنود
فاطلب العز في لظى ودع الذل ولو كانت في جنان الخلود

فالعز والمجد والعليا ، وكرم النفس الفاظ جرت على لسان ابي الطيب المننبي في كل
شعره فكانت تفهم عن حقائق روحه وبواطن نفسه ، ولقد ادنى به تغنيه بهذا العز
وبهذا المجد وبهذه العليا الى مواطن الموت ، مثلاً له الموت وحذره منه فما حذره
ولا خافه هجم على الموت خوفاً من ان يقال فيه انه جبان ، فما أبعد ابا الطيب عن احتمال
الأذى ورؤية جانيه :

واحتال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضور به الاجسام
ذل من يغبط الدليل بعيش رب عيش أخف منه الحما
من بين سهل الهوان عليه ما لجرح ببيت ايلام

ما أبعد ابا الطيب عن احتمال الأذى ، لقد غرق في نعيم سيف الدولة وفي مكارمه
ومع هذا كله لما عبث به سيف الدولة واحسن المننبي بالانتقاض عنه ما لبث ان عاف
هذا النعم وهذه المكارم :

وما ينزل اللذات عندي بمنزل اذا لم أبجل عنده وأكرم
سبيحة نفس ما تزال مليحة من الضيم مرعباً بها كل تخوم

نعم بأبي ابا الطيب الا ان أبجل والآن ان يكرم واذا سكت في حضرة كافور عن
شيء من هذا التجميل والتكريم فما معنى هذا ان الرجل هانت عليه نفسه ، وانما طمع وهو
في حضرة كافور في شيء من الملك شغل باله طول حياته ، فصانع كافوراً ارادة الوصول
الى هذه الولاية التي أملها ولما احسن بالشرو بالأذى ولأى عن كافور .

أبت هذه الروح العالية الا ان تظهر على شعره في كل مذهب من مذاهب هذا
الشعر ، لقد ظهرت في أماديجه ، فاذا مدح أعرب عن روحه قبل ان يصور روح
المدح وربما جعل للافصاح عن روحه في أماديجه النصيب الاوفى :

ولا تحسن الجند زفاً وفينة فما الجند الا السيف والفنكة البكر

وتضرب اعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر الحجر
وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء انمله العشر
نعم لم يغفل عن اظهار روحه في اماديجه حتى في اماديجه في سيف الدولة :
وانا لتلقى الحادثات بانفس كثير الرزايا عندهن قليل
يهون علينا ن تصاب جسومنا وتسلم اعراض لنا وعقول
والقد ظهرت روحه في مراثيه اي في المواطن التي بذل فيها الانسان عن كل عظمه
وهن كل عز ، ففي رثائه لجدته وقلبه ماتمب ، ودمعه منسكب لم يغفل عن روحه :
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتي مهجة تقبل الظلما
روحه غالبه عليه فأنتم تعلمون مقدار محبته لجدته ومقدار اسفه على وفاتها ومع هذا
فلم نلسه وفاتها روحه فكأن في باطنه شيئاً يخزّه حتى يظهر وما هذا الشيء الذي يحركه
الا روحه ، وكذلك حاله في غزله :
وقد طرقت فتاة الحي مرتديا بصاحب غير عزهاة ولا غزل
لا اكسب الذكر الا من مضاربته أو من سنان أصم الكعب معتدل
وكذلك شأنه في أهاجيه :
ويلها خطّة ويلها قايلاً مثلها خلق المهرية القود
وعندها لذ طعم الموت شاربه ان المنية عند الذل فنديد
ما اعظم روح ابي الطيب ! ما اظهرها على شعره !
دمشق : ٣ ايار سنة ١٩٣٠

فلسفة المتنبي

- ١٣ -

علمنا بطائفة من اخبار المتنبي وأحطنا بشيء من جملة اخلاقه وروحه وطبيعة حسه وعاطفته ، بقي ان نعرف درجة عبقريته وخصائص هذه العبقرية ، هل يخلد شعر المتنبي ما هو السر في خلوده . وقبل ان أنفـرغ لهذا كله ارى ان الواجب عليّ ان انظر في فلسفة المتنبي .

اشار القاضي الجرجاني والشمالي الى ان ابا الطيب خرج عن رسم الشعر الى طريق الفلسفة وازاد الشمالي الى هذا الكلام ان المتنبي امثل الفاظ المتصوفة واستعمل كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلفة فنه قوله :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخائنه قربك الايام

حق قال صاحب « ولو فهم هذا القول في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعه المتصوفة دهرآ طويلاً »
ومنه قوله :

يا ايها الملك المصني جوهرآ من ذات ذي الملكوت اسمي من سما
نور تظاهر فيك لاهوتيّه فتكاد تعلم علم ما لن يعلم
ومنه قوله :

واقعد رمت بالسعادة بعضاً من نفوس العدي فادركت كلا

فالجوهر المصني واللاهوت والبعض والكل من الفاظ رجال الفلسفة والمنطق .
ولتعم الى طائفة من اسماء اطباء اليونانيين وحكائهم امثال جالينوس وبقرات ورسطاليس وبطليموس .

وجرى في شعره ذكر بعض المذاهب الفلسفية
من هذه المذاهب :

وكم لظلام الليل عندك من بد تخبر ان الماوية تكذب
ومنها :

الا ففى يورد الهندي هامة
فانه حجة يؤذي القلوب بها
ومنها :

تحالف الناس حتى لا انفاق لهم
فقبل تحالف نفس المرء سائلة
ومن تفكر في الدنيا ومعجته
الا على شجب والخلف في الشجب
وقيل تشرك جسم المرء في العطب
أقامه الفكر بين العجز والتعب

واظن ان شيوخ ابن خلدون لم يعجبوا شعر المتنبي بمخالفته الاساليب العربية الاسباب
لجأه الى هذه المصطلحات الفلسفية واشباهها لان الشعر كما قلت سيف « سحر العبقريّة »
غرضه ان يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يخاض لتجريدات وعبارات العلم واستدلالات
الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم
الصيغ المحسوسة ولكنكم ستجدون في فصل الكلام على شعر المتنبي ان ابا الطيب اذا خلد
فان خلوده سيكون من الناحية التي عابه بها شيوخ ابن خلدون، فاذا خلد المتنبي فان الذي
يخلده انما هي تلك الحكم الرائعة التي استفادت في شعره فاستشهد الناس بها بحسب ما
يقنضيه مقام الاستشهاد فكأن ابا الطيب لسان حال البشر باجمعهم . فقد يقذف المتنبي
في بيت او في بيتين مذهباً فلسفياً او علمياً يشغل به المفكرون كل حياتهم من هذه المذاهب
قوله :

فقل ما يلوم سيف ثوبه
من وجد المذهب عن قدره
الا الذي يلوم في غرسه
لم يجد المذهب عن نفسه

ومنها :

راعتك رائحة البهاض بمفرقي ولو انها الاولى لراع الاسم

ومعنى هذا البيت : راعتك الشعرة البيضاء التي ظهرت في رأسي ولو ان الشعر يكون
أبيض في اول امره ثم يسود لراعتك الشعر الاسود ، فكأنما ابو الطيب أراد ان يمثل
للناس على نحو (بيرون) في القديم ان آراء الخلق سر بعة التبدل والتغير مما يدل على شك

الناس في حقائق الامور ، اعتاد البشر ان يروا الحسن في الشعر الاسود والقيج في الشعر الابيض ولو تعودوا ان يروا الحسن في الشعرة البيضاء والمساوي في الشعرة السوداء لما كان لاشتغال الرأس شيئا اثر شنيع في العيون فكأنما لا حقائق مطلقة في العالم وانما الحقائق نسبية للامر الواحد كما قال « انا تول فرانس » مشاهد متفاوتة ومظاهر متباينة ، انظر الى هرم منفيس في طلوع الشمس ثم النظر اليه في غروبها فانك تجد في الصباح مخروط الشكل ينحدر عليه ضياء وردي ، وتجد في المساء مثلثا اسود اللون ومن الذي ينفذ فكره الى مادة هذا الهرم فالعادة والمصطلح هما سبب كل عمل في هذه الدنيا .

قد تكثر هذه النظرات الفلسفية في شعر المثنبي ولكني اصرتها كما صر بها ابو الطيب نفسه لانها لا تؤلف الفلسفة التي اريد الكلام عليها ، اي لا تؤلف فلسفة المثنبي ، وانما هي خطرات قد يجوز ان يكون اقتبسها من الكتب المترجمة او دأه عليها عقله الكبير فلم يتوسع فيها وانما الذي توسع فيه النظر في الحياة واخلاق اصحاب هذه الحياة فلننظر في صورة الحياة التي يريد بها ابو الطيب .

صوت ابو الطيب المثنبي الحياة في شعره في اشرف صورها وعرضها في اصكرم معارضها فهو يريد بها سالمة من كل ضيم ، بعيدة عن كل ذل فلا تجدون في شعره الا الفاظ العز والجد والكرامة وما نقضيه هذه الالفاظ من تعب الاجسام وسفك الدماء ، فالمعالي لا تكون رخيصة فلا بد من ابر الفحل دون الشهيد ، ولا بد من صرارة الزمان دون حلاوته ، ليس الفقر ان تغث المآكل انما الفقر ان تغث الكرامة ، فلا تكاد عيشة العز تفارق صورها شعره ، وان كان هذا العز في جهنم وان كان الذل في جنات الخلود ، على مخاف الموت فقد يقتل العاجز وهو آمن في سريره ، وقد يوقى الشجاع وهو غارق في الدماء ، على مخاف الموت والموت لا بد منه وسواء أفرط الرجل في سلمه ام أفرط في حربه ، ان غاية الموت فاذا كان الموت غاية كل واحد فلم تحقق الا فئدة من الرعب فالخلف في العز محبوب والذل في طول العمر بغض .

صوت الحياة في اكل صورها ، ينبغي للناس ان يهون عليهم رزء جسومهم اذا سلمت في هذا الرزء عقولهم واعراضهم لا تحتمل الاذى ، لا تغبط الدليل ، لا تن . هذه هي الوصايا التي لم يخل منها شعره ، دع نفسك تأخذ ما يمكنها اخذه من هذه الدنيا ، ولكن

لا تحسبن هذا الاخذ في زق اوقية ، فما الجحد الا السيف والفتكة البكر ، ما الجحد الا ضرب
أعناق الملوكة وترك دوي في الدنيا ، اسمع الى الجحد ما استطعت اليه سبيلاً ، اطلب المال في
الجحد ، اطلب الجحد في المال ، خلف ذكراً طيباً فالذكر عمر ثان ، اكسب هذا الجحد من
مضارب السيف ومن سنان الرمح ، قاتل في سبيل العلى ، قاتل في سبيل السلم ، السعادة في
سفك الدماء ، ابن الممالك على الاسل ، سلم شرفك من الاذى باراقة الدم على جوانبه ، اطلب
حقك بالطمع بالضرب ، الدنيا نزاع ، والدنيا لمن غلب ومن استطاع ان يلتبس الاشياء
اغتناباً لم يلتبسها سواً ، اذا غاصرت في شرف فلا تنعم بما دون النجوم فالموت واحد في
عظائم الامور وفي صفاتها ، لا تعمل بالآمال ، لا تنعم بالافلال ، لا تسكر فعاطاة الصفايح
والعوالي الذ من المدام ، الموت في الوغى عيش ، لا نداج ، لا تقهر سر في امرك ، لا تهجز ،
لا تئكل على احد ، اباك والقص اذا كنت قادراً على التمام ، جالس كتبك فان الكتاب
خير جليس ، اكرم الكريم فتملكه ، لا تكرم اللئيم فتفقده ، احرص على الحياة فان الحياة شبيهة
واحرص على اللذات ، لتكن في حرصك على هذه الحياة وعلى هذه اللذات مجبلاً مكرماً ،
اباك والغواني فانهن ضياء في بواطنه ظلام ، لا عهد لمن ، يحقدن فلا يبقى في قلبهن رضى
ويرضين فلا يبقى في قلبهن حقد . هذه هي الحياة التي يريد بها المننبي ، انها حياة سامية
ولكنها مزوجة بالده ، بعيدة عن الهدوء والسكينة ، مملوءة بالقلق والاضطراب ، كلها
نزاع ، وكلها غلاب ، وهل الدنيا الا غلاب . ان الحياة التي يريد بها ابو الطيب انما هي حياة
القوة وهل يكون عزيز الجانب غير القوي ، قاتل ، غلب ، هذا هو الهدف الاعلى الذي
يرمي اليه المننبي ، وقد قاتل وغالب كل حياته ، فما كانت فلسفته الا بنت خلقه وطبعه ،
جمعت هذه الفلسفة بين سلطان المادة وكرامة الادب ، فلا خير في المال اذا لم يزينه الجحد
ولا خير في الجحد اذا لم يؤده المال . وهل نكسب هذا الجحد الا بعد ازعاج البسدن وافلاق
الروح . وهل نصل الى هذا المال الا بعد ذوق مرارة الموت ولكن حلوة هذا الجحد وهذا
الموت نسينا مرارة الايام التي انقضت في كسب الجحد والمال .

هذه هي الحياة التي يريد بها ابو الطيب ومن كان نظره في الحياة مثل نظر ابي الطيب
فأخلق به ان يكون منشأً لان الجحد والعز والكرامة كل هذا يقتضي مكارم الاخلاق
واين مكارم الاخلاق في زمن لا صديق فيه مخلص ولا عدو مداح اين مكارم الاخلاق

في زمن ودّ الناس فيه خداع ودّ بينهم نفاق عالمهم قدم وحازمهم وغد وبصيرهم اعمى وشجاعهم قرد بلي المنبي بهم بلاء الورد بانوف لا يصلح لها الخشاش ليس من العجب ان يكون المنبي متشامماً اذا كان في زمن وقته فيه ضائع ليس من العجب ان يحذر الناس انهم لا يرحمون فلا ترحمهم روت رحك من دماثهم اقتلهم ولا اثم عليك ليس من العجب ان يرى ابو الطيب الدهر غير اهل ان تؤمل عنده حياة وان يشفق فيه الى النسل .

من مزاجه السويداوي ومن شبابه المضطرب ، واكتنهاله القلق ، ومن فرط حسه وعصبته ، ومن الذي لا فاء سبه زمنه من الحسد تولد شيء من التشاؤم في خلق المنبي ، والتشاؤم كما قال فيه الاستاذ «فاكه» مرض خلقي لا يحرم صاحبه العبقريّة على شرط ان يكون المصاب به حاصلاً على النصف الآخر من هذه العبقريّة وهو الخيال المديد .

ماهو التشاؤم ؟ ان هو الا ادراك الحياة من أوسع جوانبها ، ومن اشد نواحيها ظلمة ، واذا لم يكن هذا التشاؤم صادفاً كان ضرباً من السخرية ، واذا كان صادفاً ولم يكن لصاحبه عقل كبير كان نوعاً من الهزل ، لانه قد يفضي بالمبتلي به الى الشكوى من آلام حقيرة يقاسمها كل الناس ، ولكن تشاؤم رجل مثل ابي الطيب صاحب عقل كبير وخيال مديد ليس فيه شيء من المهزلة .

وعن هذا التشاؤم وعن هذا الالم لذي فاساه المنبي كل حياته صدرت افكار سامية من جملة هذه الافكار : العبقريّة تجعل صاحبها في شقاوة :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
ما اصدق هذه الحكمة ! انجث عنها قليلا :

ملك السيارات في هذا العصر (فورد) ذهب اسم سيارته في آفاق العالم كله : يكاد فورد يستصفي ثروة الدنيا فهو يلعب بالذهب لعبه ، انه ليستطيع ان يدرك امانيه كلها بالمال فلا يشك احد في عظم سلطانه ، فقد اذعنت له الدنيا بمجداً فيروها - وملك العلم سيفه هذا العصر (ايسون) لقد أدهش العالم كله بمخترعاته ، فقد ضبط أصوات البشر وقرب بين متباعد المسافات بعد ان قاو الطبيعة فهو يجد في ممهله اكبر لذة يجدها عالم في اكتشاف شيء ، يعترف بسلطانه العلماء بهجاءهم . لا ريب في ان (فورد) و(ايسون) من ذوي العقول الذين أشار اليهم المنبي سيفه شعره ، فهل شقيا في نعيمهما كما قال المنبي ، ام هما نعا على

خلاف رأي ابي الطيب ، لننظر الى رأي كل منها في سعادة الآخر .
يقول (اديسون) في سعادة (فورد) :

رأيت حديثاً كيف ركبت آلات آخر سيارة من سيارات (فورد) لقد رمى إسيارته هذه الى انحاء العالم ، وقد رفق في مخترعه توفيقاً عظيماً ، فكان يجب على فورد ان يكون سعيداً كل ايامه بسبب توفيقه هذا ، ومن موجب الأسف ليس له شيء من هذه السعادة ان (فورد) سيكون سعيداً زمناً قليلاً لانه من هؤلاء الرجال الذين لا بدوم سرورهم طويلاً ان عقله ليعذبه في كل حين لان هذا العقل تشغله امور حديثة لاحد لها ، فاذا تم له امر منها فرح به ، ثم فكر في امر آخر وعلى هذا فانه يجري من ارب الى ارب من غير ان يكون راضياً .

فاذا لم يستطع الرجال ان يحددوا مطامعهم فانهم لا يستطيعون ان يكونوا سعداء فالذي يجدر بنا ان نحدهم في هذه الحياة انما هم الرجال الذين أبعد مهمم ان يقبضوا على فراشة ، أسعد الناس انما هو العبد الذي يعيش وليس في قلبه مطمع من المطاعم .
بظن بعضهم ان المستر (كوليدج) كان سعيداً وهذا خطأ فقد قضيت عنده بضعة أيام فكان كل همه ان يتولى رئاسة الجمهورية فلما أُلقيت اليه مقاليد هذه الرئاسة كان كل همه ان يخرج منها وان يغادر القصر الأبيض خوفاً من تبعاته .

اما انا فقد كان أعذب ايامي تلك الايام التي كان عمري فيها اثني عشر عاماً فلم يكن لي فيها مطمع او هم ولكني لما كبرت أضعت السعادة فاذا رميت بنظري الى الاثنين والثمانين عاماً التي عشتها وجدت فيها اياماً كنت أستطيع ان اكون في خلالها سعيداً كل السعيد غير اني كنت فيها أشقى الأشقياء .
و يقول (فورد) في سعادة (اديسون) :

أرى (اديسون) يعد عدة السعادة الكاملة لانه غارق في مشاغله فليس به حاجة الى ان يجعل الشغل واسطة العيش وهنا السعادة كلها على خلاف ما كان يذكركه العالم الكبير من انه لا سعادة في هذه الدنيا ، كان سعيداً في طفولته وشببته فقد كان عاملاً في البرق والصحافة وصار عالماً في شبابه ، صاحب مكتشفات عظيمة ، حصن له اسباب العمل في كل حين ، فقد أراد ان يجعل الليل نهاراً فكتب له التوفيق ، وشاء ان يردد اصداه

الصوت البشري فتمت مشيئته ، لقد وجد لذته كلها في هذا الجهد العظيم ، لان الرجل الذي يعمل من اجل غايات شريفة ، ان الرجل الذي يعمل من اجل العمل نفسه ، انما هو سعيد كل السعيد .

فاذا كان (فورد) يغبط اديسون بطراز حياته ، وهو من هو في الثروة ، واذا لم يكن (اديسون) سعيداً في ايامه وهو من هو في العلم ، فما أصدق ما قاله المنني من ان صاحب العقل يشقى بسبب عقله في النعيم ، وان اخا الجهالة ينعم في شقاوته .

وانكم تجدون في شعر المنني كثيراً من أشباه هذه الحكمة الرائعة استنبطها من الحياة نفسها ، فكأن الحياة قد عرضت عليه صورها المختلفة وأشكالها المتباينة فاستنبط من غيرها وشرها ومن حلاوتها ومرارتها ومن كرمها ولؤمها امثالاً قذفها في أليات وانصاف أليات ، فالرجل قد جرب كثيراً حتى احكمته التجارب وتغلغل في بواطن القلوب فأعطته مقاليد أسرارها ، فلا يكاد يحدث حادث في هذه الحياة الا ونجد في شعر ابي الطيب ما يمثل هذا الحادث ، فما أقرب الحكمة من طرف لسانه ، وما أجراها على شق قلبه ، والحكمة اذا كانت بنت التجارب كانت أعلق بالأذهان ، وأسير في الالام ، والمنني ابن التجارب :

اذا ما الناس جريهم لبيب فاني قد أكتهم وذاقا
دمشق : ١٧ أيار سنة ١٩٣٠



عقربة المتنبي^(١)

- ١٤ -

أحفظ من تسع عشرة سنة بيتاً من الشعر قاله الشاعر الفرنسي « بوالو Boileau » في الشاعر « مالرب Malherbe » وهذا هو صدر البيت : حتى جاء مالرب . . . واذكر انا كنا ندرس في مدرستنا تاريخ الأدب الفرنسي الذي وضعه الأستاذ « دوميك Doumic » صاحب سر الأكاديمية وقد افضى بنا الدرس الى الفصل الذي عقده « دوميك » في الكلام على « مالرب » فالاستاذ « دوميك » يقول في تاريخه ان « حتى » هذه لنقص من مقادير من تقدم « مالرب » من الشعراء .

ولما وقفت على كلمة ابن رشيق الشائعة : ^(٢) ثم جاء المتنبي فلأ الدنيا وشغل الناس خطرت ببالي في الحال كلمة « بوالو » : حتى جاء مالرب . . . فقلت في نفسي أفيجوز لي ان أقول في « ثم » هذا ما قاله « دوميك » في « حتى » تلك . أفيجوز لي ان أقول ان كلمة ابن رشيق لنقص من مقادير من تقدم المتنبي من الشعراء أفيجوز لي ان أقول ان المتنبي عفى مر آثار من سبقه .

الصحيح ان ابا الطيب المتنبي كان مشغلة للناس متعبة لهم ولكن هل كانت عقربته وحدها السبب في شغله الناس أفلم يكن لحوادثه تأثير في هذا الشغل أفلم يكن لاتصاله بسيف الدولة وبكافور الاء خشيدي و بابر العميد وبعض الدولة اثر في هذه الشهرة الشائعة أفلم يكن في تزاحم الملوك والامراء والوزراء عليه وتنافسهم فيه عامل من عوامل هذه الشهرة وعلى الخصوص فان في جملة هؤلاء المتزاحمين رجالاً علت منازلهم في الادب كابن العميد مثلاً او كالمصاحب ابن عباد الذي لم يكن نصيب من أماديج المتنبي أفلم يكن في

(١) هذا الفصل والذي يتلوه لم أحاضر بها في كلية الآداب وانما كتبتها في اثناء طبع المحاضرات اي بعد عطلة الكلية تقيماً للكلام على المتنبي .

تضافر اكابر رجال اللغة على شرح ديوان المتنبي^١ وفي مقدمتهم ابن جني عامل من عوامل شهرة ابي الطيب ان شاعراً يقول فيه الثعالبي^(١) : فلبس اليوم مجالس الدرس أعمار بشعر ابي الطيب من مجالس الانس ولا اقلام كتّاب الرسائل أجري به من السن الخطباء في المحافل ولا لحون المغنين والقوالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين وقد الفت الكتب في نفسه وحل مشكله وعو يسهه وكثرت الدفاتر على ذكر جيبه وردبته وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصح عن ابيكار كلامه وعونه ونفروا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح عنه والتمصّب له عليه ٠٠٠ » وان شاعراً يقول فيه القيرواني^(٢) : قد شغلت به الانس وسهرت في اشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكرك والغائص في بحره والمفتش عن جمائه ودره وقد طال به الخلف وكثر عنه الكشف وله شيعة تغلو في مدحه وعليه خوارج الثغايا في جرحه ٠٠٠ » ان شاعراً هذا هو شأنه في الادب وهذا هو شأن الادباء فيه لا بد له من ان يملأ الدنيا ويشغل الناس .

ولكن هل ينبغي لنا ونحن ندرس شعر ابي الطيب المتنبي ان نلقيه بما يقيد به المتقدمون افلا يليق بنا ان ننسخ عن عوامل الشيعة التي غلت في مدحه والخوارج التي أفرطت في جرحه حتى يكون نظرنّا في شعره صحيحاً افلا يليق بنا ان ننظر الى هذا الشعر من وجهه الشفاف حتى يتبين لنا ما وراءه وسواه عليّ اكنّت من المعجبين بابي الطيب العابدين له ام كنّت من الذين يستوي عندهم ابو الطيب وكثير من الشعراء لا استطيع ان امر بفلتات عبقريته دون الاشارة اليها او ان امرت بسحر هذه العبقرية دون التنبه عليه .

فلا بد لنا اذا نظرنا في طبائع عبقرية المتنبي وفي خصائصها ونقبتنا عن محاسنها ومساوئها من النظر في آفاقها والسماء التي خلّقت في عالمها حتى يتكشف لنا كل أفق على حدة فنرى ألوان هذا الأفق سواء أكانت هذه الألوان كامدة ام كانت زاهية نضرة لا بد لنا من النظر في مذاهب ابي الطيب كلها : في غزله وفي بكائه وفي أهاجيه

(١) يتيمة الدهر : الجزء الاول ص ٢٨ .

(٢) اعلام الكلام : ص ٢٥ .

وفي أماديجه وفي وصفه على اختلاف اشكاله وفي حكمه ومن جملة هذه المذاهب تسنين لنا طبائع شعر المتنبي .

اول ما أنعرض له من مذاهب المتنبي انما هو الغزل — هذا الغزل الذي صدر به معظم قصائده اتباعاً لاصول بني عليهما الشعراء من قبله فلم يخرم القياس ولا خرج عن الاساس على انه لم يؤثر عنه انه عشق وقد عرضنا حوادثه كلها من ميلاده الى مقتله فما وجدنا فيه ميلاً الى شيء من العشق فعلم هذا النسيب في صدور قصائده يقول الاستاذ «فاكه» في معرض كلامه على «هوغو» : اذا لم تكن أبيات الغزل أبيات شاعر عاشق كانت مقلقة مضجرة وقد تكون هذه الابيات حسنة فلم عرض المتنبي غزله للاخبار والافلاق وان كان في غزله شيء من الحسن .

لم أجد في كثير من نسب المتنبي الا ما أجده عادة في الشعراء المتغزلين الذين جاؤوا قبله ما خلا الشعراء العشاق الذين قال فيهم القيرواني^(١) : قد استغوذت الصباية على أفكارهم واستغرقت دواعي الحب معاني أشعارهم فكل مشغول بهواه لا يتعمدها الى سواه «لم أجد للتنبي في غزله الا الصور التي صورها كثير من الشعراء قبله كمناجاة الديار وكاستيقاف الصبح عليها او كالخبر من نيران القلب ومن الشيب وماشاكل ذلك فهذه صور مأوفة ومذاهب معروفة لم يكن للتنبي فيها ابداع ولا اختراع وانما مشي فيها على آثار غيره .

ففي فؤاد المحب نار جوى أحرّ نار الجحيم أبودها
شباب من الهجر فرق لفته فصار مثل الدمقس أسودها

قرأت مرة رواية وأظنها : رغائب يوحنا سرفيان وهي من روايات «اناتول فرانس» اذكر ان يوحنا هذا وهو بطل الرواية احب فتاة رومانية ممثلة وقد ملك عليه حبه عقله فكانت الدنيا في نظره صورة والحنان اي كانت الدنيا في نظره صورة الممثلة التي شهد تمثيلها والحنان التي سمعها فكان يهيم على وجهه في جنبات الليل اليهيم فلا يزال هائماً حتى يصل الى دار حبيبته فيتأمل في أطرافها المظلمة ويقبل باجها وربما أغمى عليه فلا يفيق

الأعلى صوت هذه الممثلة فالعاشق كل العاشق من نظر الى حبيبته نظره « يوحنا » هذا الى فتاته أفيشتمل غزل المتنبي على صور مثل هذه الصورة أفكان المتنبي في غزله مثل أولئك العشاق الذين نعرض لهم الطبيعة مشاهد كثيرة فلا يخلون الا بالمشهد الذي استولى على فكرهم وتسمعون اصواتاً متباينة فلا يطرهم الا صوت حبيبهم اعترف انه يصعب على الباحث ان يجد في غزل المتنبي شيئاً من هذا كله .

نعم لم أجد في كثير من غزل ابي الطيب الا ما أجده في غزل كثير من الشعراء فاذا شبه القوام شبهه بالغصن و ذا شبه الوجه شبهه بالشمس والقمر واذا شبه الشعر شبهه بظلام الليل فمن هذا الشكل قوله :

غصن على نقوي فلاة نابت شمس النهار اقل ليلاً مظلماً

فالألوان في غزل المتنبي مرودة والأصوات مكررة فالصور التي صورها انما هي صور عتيقة بالنسبة الى عصرنا هذا وبالنسبة الى عصر المتنبي نفسه فأي ابداع في تشبيه اخذ بالورد وتشبيه العين بعيون المهدي او بالسيوف :

كم قبيل كما قتل شهيد لبهاض الطلي وورد الحدود

وعيون المهدي ولا كميون فنكت بالمتيم المعمود

ومن هذا القبيل قوله :

من طاعني ثغر الرجال جاذر ومن السلاح دماغ واخل

ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

فلم يقسم ابو الطيب المورد العام الذي ازدحم عليه كثير من الشعراء المتغزلين ولا ارتفع عن السماء التي حاق فيها هؤلاء الشعراء فلم يخل معظم غزله من الاشجار والافلاق لان هذا الشعر لم يصدر عن قلب تيمم الحب فالصور التي صورها انما هي صور بالية لانهز الخيلة فامثلها الا كمثل الرماد الذي يبقى من النار الهامدة . وعلى الرغم من قوله - في بعض شعره :

جهد الصباية ان تكون كما أرى عين مسهدة وقلب يخفق

لم أجد - في شعره اثر أسه عينه وسفقان قلبه .

لولا ظباء عدي ما شغفت بهم ولا برير بهم لولا جاذره

من كل احور في اياه شنب خمر يخامرها مسك تخامره
 نعج عاجره دمع نواظره حمر غفائره سود غدايره
 فهذه لغات كثير ما رددتها الشعراء قبل المتنبي وربما كانت لهم في الاجادة فيها
 نصيب اوفى من نصيب ابي الطيب فقد سلك المتنبي في غزله طريقا كثير من سلكه
 حتى شاركه فيه غيره من الشعراء فلم يتجاوز مذهبهم .

وقد تعوزه رقة العاطفة في بعض غزله فهو لا يشبه اوائك العشاق المتيمين الذين
 يفنون في عبادة من يعشقونهم ولكنه من هؤلاء العشاق اصحاب القلوب القاسية الذين
 اذا رقد احبا بهم وسهروا هم في التفكير فيهم أسفوا على لياهم التي نقصت في هذا التفكير :
 بئس الليلي سهدت من طرب شوقاً الى من يبيت يرقدها
 فان الضنى الذي بضناه في الهوى انما هو مثل السم في الشهد واللذة التي يجدها في
 هذا الضنى انما هي لذة جهل :

ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامننا لئذت به جهلاً وبغى اللذة الختف
 فهنا العقل يمل عليه ولا اثر في هذه الامالي للعاطفة الرقيقة على ان له من الابهات
 ما يبدل على فئائه في حبيبة :

زبدي اذى معجني ازديك هوى فأجهل الناس عاشق حاقد
 ينظر المتنبي في بعض غزله الى الحب نظر الفيلسوف المحيط بدقائق هذا الحب
 فلا يكاد يخفى عليه امر من اموره ينظر اليه نظر الفيلسوف الذي يعلم ان المرء يعشق
 عرضاً من دون ان يدري لماذا يعشق ولكنه اذا عشق رحل عقله :
 وما هي اللحظة بعد لحظة اذا نزلت في قلبه رحل العقل
 ومنه قوله :

الى م طاعة العاذل ولا رأي في الحب للعافل
 ومنه قوله :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخت افي سلم
 فعقله في غزله اكثر من عاطفته والحب لا عمل فيه للعقل وانما هو ابن العاطفة على
 انه يعلم ان الحب هو الذي يغلب على اللسان حتى لا يقدر على وصف ما في قلب صاحبه :

الحب ما منع الكلام الا لسانا والد شكوى عاشق ما اعلنا
نعم هذه هي حقيقة الحب فانه يغلب على صاحبه فلا يدري ما يقول ولكن المتنبي
لم يغلب عليه هذا الحب وانما مثله كمثل الفيلسوف الذي يريد ان يظهر اخلاق المرأة في
الشعر لا كمثل العاشق الذي يجب ان يظهر دقائق العاطفة في شعره :

اذا غدرت حسناء وقت بمهداها فمن عهداها ان لا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت اشدد صباية وان فركت فاذهب فافركها قصد
وان حقدت لم يبق في قلبها رضى وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك اخلاق النساء وربما بضل بها الهادي ويخفى بها الرشد
فالمتنبي لم بضل باخلاق النساء .

على انه قد وردت في طائفة من غزله ابيات تكاد تلى فيها اثر العاطفة ولست
اعني بهذه الابيات قصيدته المشهورة :

من الجأزر في زي الأعراب حمر الحلي والمطايا والجلابيب
التي قال فيها الشعالي : وناهيك بهذه الابيات جزالة وحلاوة وحسن معان كلا
ولست اعني بها البيتين المشهورين :

لبس الوشي لا متجملات ولكن كي يصن بها الجمالا
وضفون الغدائر لا احسن ولكن خفن في الشعر الضلالا
الذين قال فيها الشعالي : وهذا من احسانه المشهور الذي لا يشق غباره فيه

او البيتين التاليين :

حسان التثني ينقش الوشي مثله اذا من في اجسادهن النواع
ويسمعن عن درة تقلدن مثله كأن البراق وشحت بالباسم
او غير هذه الابيات كلها من ابيات المتنبي الحسنة في الغزل كلا اني لا اشير
الى هذا كله لان هذا الشعر كله لا يتخلو من اثر الصنعة فهو حسن ولا شك ولكنه قليل
النصيب من العاطفة وانما أريد بالابيات التي تشتمل على العاطفة قوله :

أحبته والهوى وأدوره وكل حب صباية ووله

هذه هي روح العاشق وهؤلاء هم الشعراء الذين يعرفون مقدار الحب فالعاشق

يحب كل شيء من اجل حبيبه ، فهو يحب حبيبه ويحب الهوى ويحب دار الحبيب
و يقسم بالهوى و بدار الحبيب لان الحب ان هو الا ذهاب العقل ومن هذا الشكل
قوله :

واني لأعشق من اجلكم فحولي وكل امرئ ناهل

ومنه قوله :

وكيف التذاذي بالاصائل والضحي اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبنا

ومنه :

اذا كان شم الروح ادنى اليكم فلا برحتني روضة وقبول

ومنه :

فليتها لا تزال آوبة وليته لا يزال مأواها

نعم هذه هي روح العشاق وهذا هو رمز العاطفة ولكن أمثال هذه الابهات قليلة
في شعر المني ، فلم يكن ابو الطيب من اصحاب النسيب الخالد .

فاذا لم يخلد نسيب المني ، أفنخلد مراثيه ، أفكان ابو الطيب في هذه المراثي شجرة
الاختراع وثمره الابداع ، فلننظر في هذا كله .

ما اظن المراثي الا هذا الضرب من الشعر الذي يقرأه القاري فيتبين له في تضاعيفه
اثر اللوعة والحرقه ، او كرامة الميت ومبلغ تأثير موته في اهله وقومه الى غير ذلك من
الكلام على أخلاقه وخصائصه ، فأقبح المراثي هذه القصائد التي لا نرى فيها الا صوراً
عامة تصلح لكل رجل يبكى عليه ، ومن هذا الشكل كثير من مراثي المتقدمين التي تشمل
على الغلو في كل شيء حتى أصبحت مدعاة الى الضحك بدلاً من ان تكون مجلبة للدمع ،
فما هي خصائص مراثي المني ؟

رثى ابو الطيب محمد بن اسحق اللخمي ورثى جدته التي كانت يحبها حباً جماً ورثى
والدة سيف الدولة وابنه ابا العجاء عبد الله وعبدته يماك واخته الصغرى واخته الكبرى
وابا وائل تغلب بن داود حمدان وابا شجاع فأنكا وعممة عضد الدولة .

تختلف المراثي في عظم شأنها وحقارتها على اختلاف موضوعاتها فاذا كانت المراثي
جليلاً استطاع الشاعر ان يجعل رثاءه جليلاً وتختلف العواطف فيها على قدر اتصال

الشاعر بالمرثي ، ولقد رثى ابوالطيب جماعة من أصحاب الشأن الجليل في عصرهم ورثى من يتصل بها بحكم الاتصال وهي جدته فلتنظر الى دموعه في هذه المرثي .

أرعى ابوالطيب في طائفة من مرثيته زمام الخيال فجمع به هذا الخيال حتى بلغ به ألقاً مشتركاً يسرح فيه كثير من الشعراء وكانت هذا الامر في مستقبل عمره اي في الوقت الذي لم يتقف فيه خياله كل الثقيف وهذه حالة كثير من الشعراء فانهم ينزعون سيفه فاتحة الامر الى التقليد ولكنهم اذا كانوا من اصحاب العبقرية لا يلبثون ان يخرجوا من هذا التقليد الى الابداع وهكذا كان المتنبي في اول رثائه كثرائه للتنوخي :

ما كنت احسب قبل دفنك في الثرى ان الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى رضوى على ايدي الرجال تسير
خرجوا به ولكل باك خلفه صعقات مومي يوم دك الطور
والشمس في كبده السماء مريضة والارض واجفة تكاد تمور
وحفيف أجفحة الملائكة حوله وعبود اهل اللاذنية صور

لجأ الى الغلو في وصف الخطب وهذا مذهب كثير من لجأ اليه من الشعراء فلم يكن لابي الطيب فيه اجادة او احسان ففي استطاعة الشاعر ان يقول هذه الأبيات في كل رجل يموت فليس لها طابع خاص ودواوين العرب مشتملة على كثير من اشباه هذه المعاني العامة .

ولئن لم يكن لمرثية ابي الطيب في التنوخي طابع خاص فان في مرثيته سيف جدته طابعاً ظاهراً وقد اشترت الى هذه المرثية في كلامي على احساس المتنبي فلست أجد حاجة الى الدلالة على موطن من مواطن العاطفة فيها فالقصيدية كلها مبلولة بدموع ابي الطيب فلم ينزع المتنبي فيها الى هذه الرسوم العامة التي تكون مشتركة .

ولكن جلالة الشعر تجلت في قصيدته في أم سيف الدولة فقد وجد المتنبي مجال القول ذا سعة ، ووجد لساناً قائللاً فقال :

أطاب النفس انك مت موتاً تمنعه البواقي والحوالي
رواق العز فوقك مسيطر وملك علي ابنك في كمال
اي نعش اكرم من نعش يمشي الامراء فيه حفاة :

مشى الاسراء حولها حفاة كأن المرو من زيف الزئال
وابرزت الحدود مخبات بضمن النفس امكنة الغوالي
الجهن المصيبة غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال
لقد استنزل ابو الطيب جلالة وحبه من جلالة الميت فظهرت آثار العظمة على

شعره .

وكذلك فقد استطاع ان يطعم بكائه على ابن سيف الدولة بطابع خاص :
بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل وهذا الذي بضني كذاك الذي يبلي
كأنك أبصرت الذبيبي وخفته اذا عشت فاخترت الحمام على الشكل
تركت خدود الغانيات وفوقها دموع نذيب الحسن في الاعين الفجل
تبل الثرى سوداً من المسك وحده وقد قطرت حمراً على الشعر الجلل
فان نك في قبر فانك في الحشا وان نك طفلاً فالأمة ليس بالطفل
ومثلك لا يمسكى على قدر سنه ولكن على قدر الخيلة والاصل
ولما بكى المتنبي على أخت سيف الدولة الصغرى كان عقله قد اختر فنظر الى
الحياة نظراً صحيحاً ومزج الفلسفة بالشعر فجاءت نظراته صادقة فيها تجربة الفيلسوف
وقال الشاعر :

ولذيذ الحياة أنفس في النفس وأشهى من ان يمل واحلي
واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المراء وآى
ابداً تسترد ما تهب الدنيا فيما ليت جودها كان بخلا
فكففت كدوت فرحة تورث النعم وخل بغادر الوجد خلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا نثم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها وبفك اليدين عنها تخلي
شيم الغانيات فيها فما أدري لذا أذت الناس اسمها ام لا
ولم يكن بكائه على أخت سيف الدولة الكبرى باقل من بكائه على أخته الصغرى
ففي هذه المراثية أجري قلبي في وصف المصيبة فكادت المصيبة لتكلم :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب
 حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً شرفت بالدمع حتى كاد يشرق بي
 تعثرت به في الأفواء ألسنها والبرد في الطرق والأفلام في الكتب
 ثم أفاض في الكلام على أخلاق أخت سيف الدولة وألف بين هذا الكلام وبين
 صدق عاطفته وحسن وفائه وكرم مودته وقد انقطع عن سيف الدولة ولم يبق له طمع
 في العودة اليه :

ارنى العراق طويلاً الليل مذ نعيت فكيف ليل فتي النشيات في حلب
 بظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
 بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والأدب
 ومن مضت غير موروثة خلائقها وان مضت بهذا موروثة النشب
 ومهما في العلي والمجد ناشئة وهم انزاهها في اللهو واللعب
 يعلمن حين تحيياً حسن مبسمها وليس يعلم الا الله بالشنب
 هذا هو الرثاء لا تلك الصور الجامدة التي صورها في رثاء التنوخي فان مرثيته من
 بعد مرثية التنوخي طبعت بفرط الحس وكرم العاطفة وطيب القول وصدق النظر في
 الحياة وقد لجأ الى النظرات الفلسفية في رثائه فمرة كان يختصرها :

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى فيها وما يتوقع
 ولن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
 ابن الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصراع
 تختلف الآثار عن اصحابها حيناً و يدركها الفناء فتنبع
 وصره كان يتوسع فيها :

لا بد للانسان من ضجعة لا تقلب المضجع عن جنبه
 ينسى بها ما كان من عجبه وما أذاق الموت من كربه
 نحت بنو الموق فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
 نجل ايدينا بارواحنا على زمان هي من كسبه
 فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من ترابه

لو فكر العاشق في منتهى	حسن الذي يسببه لم يسبه
لم يُرَ قرن الشمس في شرقه	فشكت الانفس في غربه
يموت راعي الضان في جهله	ميتة جالينوس في ظبه
وربما زاد على عمره	وزاد في الامن على سره
وغاية المفرط في سله	كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب	فؤاده يخفق من رعبه

هذه جملة القول في مرآتيه فاذا كان لها طابع خاص فما هذا الطابع الا جلالة الشأن
 ولئن قلنا ابا الطيب في نسبه ومشي فيه على آثار غيره فقد ابدع في مرآتيه .
 « للبحث صلة »



جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

٩١

حدثنا ابو الحسن قال حدثني ابي قال رأيت بالهند قوماً يقال لهم الجبارية
ياكلون الميتة ويقذروهم جميع الهند عندهم انهم اذا ماسوهم نجسوا قال فهم
يمشون وفي اعناقهم طبول يطبلون بها ليسمع اصواتهم فيتنحون عن طريقهم
فاذا لم يتنجح الرجل عند سماع الطبل فلا شيء على الجباري وان لم يضرب
الجباري الطبل حتى يلاصق جسده جسد غيره قتله الذي يلتصق جسده به
ولا يعمد عليه لان هذا من شرطهم وسنتهم. قال ولا يشرب احد من ماء
هؤلاء الجبارية ولا يأكل من طعامهم ولا يخاطبهم فهم ينزلون في ظهري
البلد ناحية. قال وهم ارمى الناس ومماشهم من الصيد. قال وهناك قوم يقال
لهم البابوانية يجرون مجرى المستقيمين هاهنا والسلطان يطالبهم فاذا وقعوا في
يده وظفر بهم فعمل بهم كما يفعل بالصوص والبيارين قال وهم يصطادون
الناس لا يعرضون لغير ذلك قال والواحد منهم يتبع التجار الذين يطرأون
اليهم من المسلمين والذمة فاذا رأى الواحد من التجار في طريق خال قبض
عليه فحين يقبض عليه قد علم التاجر بامرهم فيسكت لانه ان استغاث او نطق
قتله الهندي وقتل نفسه في الحال لا يتألم لذلك لا اعتقادهم المشهور في القتل
قال ويراهم الناس وقد اصطادوا الرجل فلا يعرضون لخلاصه لئلا يقتله ويقول

لهم الرجل الله الله ان عارضتموه فلا يمكن سلطاناً ولا غيره انتزاعه من يده
في تلك الحال لئلا يعجل بقتله قال فاخبرني رجل من الهند ان رجلاً من
البابوانية قبض في طريق سفر على رجل لقيه منفرداً من التجار فقال له
اشتر نفسك فتوافقا على ان يشتري نفسه منه بالف درهم فقال له التاجر تعلم اني
خرجت ولا شيء معي ومالي في البلد فنصير معي الى داري في البلد لاؤدي
ذلك اليك قال فاجابه وقبض على يده و لم يزل يمشي معه حتى اجنزا في
طريقهما بقرية الجبارية طريقهما في سكة منها فسلكاها فحين حصلوا فيها وظن
التاجر الحيلة في الخلاص وقد كان عرف مذهب الهندي في الجبارية فلم يزل
يمشي معه حتى رأى باباً مفتوحاً من دور الجبارية ف جذب يده بحمى شديدة
من يد البابواني وسمى فدخل دور الجباري فقال له مالك قال انا مستجير بك
من يد بابواني اصطادني وتعريت منه قال لا بأس عليك فاجلس فصاح
البابواني يا جباري يا جباري اخرج اليّ قال وهم لا يدخلون دور الجبارية
لاستقذارهم اياهم قال فخرج ووقف وبينهما عرض الطريق لانه لا يجوز
لاحدهما ان يدنو من صاحبه فقال له البابواني اعطني صاحبي قال قد استجار
بي فيه لي قال لا افعل هذا رزقي فان لم تعطني لم ندع جبارياً حتى قتلناه قال
فطال الكلام بينهما الى ان قال الجباري اسلمه اليك في الصحراء فامض براً
تسبقه الى الموضع فلاني قال فضى ودخل الرجل عليّ وقال لي اخرج
لا بأس عليك فخرج معه واخذ الجباري قوسه وخمسين نشابة قال وسيأثم
من القصب قال فعلق المسلم بك الجباري ولصق به علماً منه بأن البابواني

لا يدنو منه فلما صار الى الصحراء قال له الجباري تهبه واجتهد به فلم يفعل
 قال فاني لا اسلمه او لا يبقى معي سلاح قال شأنك قال وهم لا يخطئون البتة في
 الرمي ففوق نحوه سهمه فحين اطلقه تلقاه البابواني بشيء كان معه فاعترض
 السهم باثنين (١) فقطعه باثنين وسلم منه فتحير الجباري قال فلم يزل يرميه
 بنشابة نشابة ويفعل بها البابواني مثل ذلك الى ان ذهب النشاب ولم يبق منه
 الا نشابتان فضعفت نفس التاجر وايقن بالهلاك وقال للجباري الله الله في دمي
 قال فقال له البابواني لا يقع لك انك قد افلت ثم اخذ سهماً فقل له الجباري
 لا تقدر على ذلك وسأريك من رمي (٢) ما تحدث به ابداً انظر الى هذا
 الطائر الذي يطير في السماء فاني أرميه فأصرعه على رأسك ثم أرميك فلا
 اخطئك قال فشال البابواني رأسه ينظر الى الطير فرماه الجباري فاصاب
 فؤاده فخر صريعاً يضطرب ومات وقال للتاجر ارجع الآن آمناً فرجع الى
 داره واقام عندهم الى ان اجتاز بهم صحبة رحل معها الى مأمنه.

حدثنا ابو الحسن (٣) قال حدثني رجل من اهل دار الزبير بالبصرة
 دقاق قال اورد عليّ رجل غريب سفتجة باجل فكان يتردد الى ان حلت ثم
 قال ادعها عندك واخذها متفرقة فكان يجيء في كل يوم فيأخذ بقدر نفقته
 الى ان نفدت وصارت بيننا معرفة والى الجلوس عندي والنست به وكان يراني
 اخرج كيس من صندوق لي فاعطاني منه النفقات التي تحمل عليّ فقال لي

«١» م. ع. كذا في الاصل ولعله فاعترض السهم بلشي فقطعه اثنين. «٢» بلاصل
 دمي «٣» الفرج بعد الشدة ٣ : ١١٠ كتاب الاذكاء.

يوماً أن قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على حفظ ماله والذي ينبغي الظنة عنده عن عياله فإن لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه وأرى قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته لا بتاع مثله لنفسه فقلت من فلان القفال في خانات (١) الصفارين قال فما شعرت الا وقد جئت وطلبت صندوقي لا أخرج منه شيئاً من الدراهم فحمل اليّ ففتحتّه فاذا ليس فيه شيء من الدراهم فقلت الغلامى وكان غير متهم عدي هل انكرت من الدرايات شيئاً فقال لا فقلت ففتش هل ترى في الدكان نقباً ففتش فقل لا فقلت فمن السقف حيلة فقل لا فقلت اعلم ان دراهمي قد ذهبت فقلق الغلام فسكت وقت في دكاني لا أدري ما عمل فتأخر عني الرجل فلما تأخر أهتمته وتذكرت مسألته لي عن القفل فقلت للغلام أخبرني كيف تفتح الدكان وتغلقه فقال رسمي اذا اغلقت الدكان اغلقه درابتين درابتين والدرايات في المسجد احملها دفعات اثنتين وثلاثاً في كل دفعة فاشرجها ثم اقفل وكذا افتحها فقلت بالراحة واليوم كذا فعلت فقال نعم فقلت فاذا مضيت لتردد الدرايات او تحضرها على من تدع الدكان قال خالياً فقلت فمن هاهنا وقع الشر ذهبت فضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت له جاءك انسان منذ ايام اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم وحكى عن صفته كيت وكيت فاعطاني صفة صاحبي فعلمت انه جاء واختبأ للغلام (٢) وقت المساء حتى اذا انصرفت انا ومضى وهو يحمل

١ «بالاصل حوانات» ٢ «عبارة الفرج اوضح : احتال على الغلام وقت المساء لما

انصرفت انا وذهب الغلام يحمل الدرايات

الدرابات دخل الدكان فاختبأ فيه ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه الذي يقع على قفلي وانه أخذ الدراهم وجلس طول الليلة خاف الدرابات فلما جاء الغلام وفتح درابتين او ثلاث وحملها ليدفعها خرج هو وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج الى بغداد قال فسلمت دكاني الى الغلام وقلت له من سأل عني فعرفه اني خرجت الى ضيعتي قال وخرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدي بطلب الرجل بواسط فلما اصعدت من السميرية (١) طلبت خانساً في الجسر (٢) انزله فارشدت اليه فصعدت واذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله فقال رجل قدم من البصرة اول امس فقلت اي شيء صفته فوصف صفة صاحبي فلم اشك انه هو وان الدراهم في بيته فاكثرته بيتاً الى جنبه ورصدت البيت حتى انصرف القيم وقت ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت كيسي بعينه ملقى فيه فاخذته وخرجت ووقفت البيت وتركته ونزلت الى السفينة التي جئت فيها وارغبت الملاح في زيادة أخرى (٣) حتى حماني وانحدرت في الحال وما قت بواسط الا ساعتين من النهار ورجعت الى البصرة بمالي .

حدثنا ابو الحسين حدثني رجل من اهل بغداد ان بعض من قاب من اللصوصية حدثه قال كان في الناحية الفلانية صير في كثير المال يطلبه اللصوص فلا يتم عليه حيلة ولا يقدر ان عليه قال فتواطأ عليه جماعة لصوص كنت احدهم فقالوا كيف نعمل في دخول داره فقلت اما الدخول فعلي لكم واما ما بعد

«١» م . ع السميرية ضرب من السفن . «٢» في الفرج : في الكتبيين . «٣» لعله : اجرته

ذلك فلا اضميه فقالوا فما نريد الا الدخول قال فبحثت وهم معي عشاء فقلت لواحد منهم (١) فتصدق فاذا خرجت الجارية اليك بشيء فتباعد وتعام عليها لتجنيء اليك تعطيك الصدقة وكن على خطأ من الباب لا تدخل انا وهي متشاعلة معك قد بعدت عن الباب فلا ترني الى ان ادخل فاخيتي قال ففعل ذلك وحصلت محتبثاً في مستراح في الدهليز فلما عادت الجارية قال لها (سيدها) قد احتبست قالت (٢) حتى اعطيت السائل الصدقة قال ليس هذا قدر دفعك اليه قسالت لم يكن على الباب فالحقته في الطريق واعطيته فقالوكم خطوة مشيت من الباب قالت خطأ كثيرة قل لعنك الله اخطأت علي قد حصل معي في الدار لص لا شك فيه قل فحين سمعت هذا قامت قيامتي وتحيرت فقال لها هات القفل فجاءته به فجاء الى باب دهليز الدار والصحن بعد (٣) باب الدار فقفله من عنده ثم قال لها ادعي المص لأن يعمل ما يشاء قل فلما انصف الليل جاء اصحابي فصفروا على الباب ففتحت لهم باب الدار فدخلوا الدهليز واخبرتهم بالخبر فقالوا نقب العتبة ونخرج الى الصحن ونقبوا فلما فرغوا قالوا ادخل معنا فقلت نفسي قد نبت عن هذا الرجل واحسست بشر وما ادخل البتة فاجتهدوا بي فقالوا لا نعطيك شيئاً فقات قد رضيت فدخلوا فحين حصلوا في الصحن وانا في الدهليز اسمع عليهم مشوا فيه فاذا المولى زينة في اكثر الصحن محيطه به يعرفها هو وعياله فيتقون المشي عليها لئلا يهراقا وهي منصوبة لاحفظ من هذا وشبهه وعليها بارية من فوق خشب رقيق جداً فحين

«١» لعله سقط : دق الباب. «٢» بالاصل قال. «٣» لعله سقط : قفل.

حصلوا عليها سقطوا اليها فاذا هي عميقة جداً لا يمكن الصعود منها فسمع المولى صوت سقوطهم فصاح وقع هؤلاء وقام هو وجاريته يصفقون ويرقصون وتناولوا حجارة ممددة لهم فزالوا يشدخون رؤسهم وابدانهم بها واصحابي يصيحون وانا حمد الله على السلامة الى ان تلفهم (١) وهربت انا من الدهايز ولم اعرف لاصحابي خبراً كيف دفنوا او كيف اخرجوا فيكون ذلك سبب توبتي من اللصوصية.

حدثني ابو الحسين قال حدثني رجل من البغداديين قال كنت اتاحداً حسن الوجه فلما اتصلت لحيتي وهي طرية بعد (٢) طلبت التصرف فكتب لي الى ابي احمد النعمان ابن عبيد الله فلقيته في عمله فاكرمني وبالغ في بري وامرني بالجلوس فجلست وكلما اردت القيام احتبسني الى ان لم يبق عنده احد الا خواصه ثم احضر المائدة فاكلنا فلما فرغنا قمت لاغسل يدي فلف ان لا اغسلها لا بحضرتها فغسلتها وقت فقال لي اين فقلت الى منزلي فقال انت هاهنا غريب ولعالمك في خان فقلت هو كذلك فقال وموضعنا اطيب وهو خير وخيشنا بارد فاقم عندنا فقلت السمع والطاعة ولم اعرف ما في نفسه فدخلت الخيش فلما حصلت عنده فيه جمل يستدنيني ولا اعلم غرضه الى ان صرت بقربه فضرب بيده يولع بي فعلمت ان شرطه في اللواط اصحاب اللحى الطرية فصعب علي ما تم من ذلك وقات كيف اصنع ليس الا التطايب قال فقلت له ياسيدي اي شيء تريد قل اريد ان افعل كذا وكذا

فقلت يا سيدي براءتي ممي وقبضت على لحيتي قال لا تفعل هذه براءة مزورة
قلت كيف؟ قال لاني مناوقمت فيها بقلمي

النشدي ابوطاهر المعروف بسيدوك الواسطي لنفسه:

هات اسقنيها جموح البرق ما زجت

الا لتسير سقلاطونها فينا

اذا لواعب اذروا بها غلبت

بجلائر سناها زهر (١) نسرينا

اريدني الناس ذر الشمس (٢) اذ رقصت

والماء يعرف في نار كما شينا

وانشدني لنفسه من كليات:

ما اكثر الشعراء مذ قتل الندي

والشعر اعوز من دموع الارقم

وانشدني لنفسه قصيدة يمدح بها ابا الحسن عمران بن شاهين امير

البطيحة وفيها (ذكر) الهدري (٣) الذي يقاتل به هو واصحابه وهو شبيه
الحراب يقول :

يسي النفوس حراب ما ادت بها

كاس المنية الارحت ذا طرب

تظل من فضة حتى اذا وردت اصدرتها من دم الابطال من ذهب

من كل مقلية (١) الجنين ماضية قدت من الشمس اوقدت من اللمب
 انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال انشدني ابو اسحاق
 ابراهيم بن هليل (٢) لصابي* الكاتب لنفسه :

تورد دمي فاستوى ومداوتي وفي (٣) مثل ما في السكاس عيني تسكب
 فوالله ما ادري ابلخر أسكبت (٤) جفوني ام من دمع عيني أشرب
 وانشدني قال انشدني لنفسه (٥) :

مازلت في سكري المع كفها وذراعها بالقرص والابار (٦)
 حتى تركت اديها وكأنا غرس البنفسج منه في الجمار
 قال وانشدني لنفسه (٧) :

فديت من شارفي لحظها (٨) من خيفة الناس بتسليمته
 لما رأته بدر الدجى زاهياً (٩) وفاظها ذلك من شيمته
 سرت له البرقع عن وجهها فردت البدر الى قيمته
 وانشدني قال قرأت على ظهر دفتر:

كنا نرورك والدار دانية في كل وقت فلما شطت الدار
 صرنا نقدر وقتاً في زيارتك وليس للشوق في الاحشاء مقدار

«١» م . ع لعلها بحلية لغة في مجلوة . «٢» م . ع المشهور هلال . «٣» م . ع المعروف
 فن مثل ما في . «٤» م . ع المعروف : اسبلت . «٥» معجم الادباء ١ : ٣٥٦ «٦» م . ع
 في معجم الادباء والآثار . «٧» معجم الادباء ١ : ٣٤٨ . «٨» م . ع كذا في الاصل
 ولعل صوابه سارقي لحظها . وفي معجم الادباء لاحظني طرفها . «٩» م . ع في معجم الادباء .
 تائها .

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان الطبيب قال كان عندنا بالبصرة في
 البمارستان رجل موسوس يعرف بالحسن بن عون من اولاد الكتاب حبس
 في البمارستان للعلاج في سنة ٣٤٢ وكان حبسه سنين ثم صالح فاستخدم في
 البمارستان الى ان تكامل صلاحه وكانت تختلف الى البمارستان لتعلم
 الطب فكانت اشاهده كثيراً فاول يوم علمت انه يقول الشعر سمعته وهو يقول :
 ادفع همي بالتعلل والصبر وامنع نفسي بالحديث عن الفكر
 وارجو غداً حتى اذا ماغد اتي يزيداني همي فيسلمني صبري
 فلا ا لهم يفنيني ولا العمر ينقضي ولا فرج ياتي سوى ادمع تجري
 الى الله اشكو ما اقاسي فانه عليم باني قد تحيرت في امري
 وعرفت حاله في ادبه بانشاده اياي كل يوم من قطعة شعره يعملها بحضرتي
 وشاهد عمل الجلتجين (١) في البمارستان .

فقال وانشدني لنفسه :

انظر الى الورد في أكفهم يطبع (٢) للقاطنين من ورقه
 كالقلب نار الهوى تحرقه والقلب يهوى الهوى على حرقه
 وحملت اليه شيئاً من الماء كول اشتهاه علي فكتب الى جانب حائط :
 حضرت من طرف ما بعثت به (٣) وقلت ياسيدي ومولاي

«١» م.ع الجلتجين معجون يعمل من الورد والعسل فارسي مركب من «كل» اي ورد
 و«انجين» اي عسل «٢» لعله يضيع يعني يذوق . م.ع اطاع يطبع اي لم يتمتع على
 قاطفه ولم يجد ما يستأنس به ليجي يضيع يعني يذوق الا تضيق بمعنى أضوع . «٣» م.ع لعل اصله
 حصرت من طرف ما بعثت به ، اي عييت وعجزت عن الثناء بسبب طرافته وحسن ما بعثت به .

لو ان اعضاء شاكر نطقت بالشكر اثنت عليك اعضاءي
ما نفثت للكرام كلهم و يا صباحي كمثل ممساي
لو ان مابي يبعض اعداي بكيت مما ارى باعداي

حدثنا القاضي ابو القاسم عمر بن حسان بن الحسين انه بلغه عن رجل قليل
المشيرة (١) ردي الدين كان يجمع بين زوجته وبين اهل الفساد في منزله قل
عشق امرأته رجل وكان مفتناً (٢) عليها في منزله واحلفها بحضرة انها لا
تطاول زوجها على لجام قال وكان ليلة على شأنهما في اسفل الدار التي للزوج
فصعدت المرأة الى السطح هناك واحتبست فلما جاءت خاصمتها العشيقة وقال
لعله فعل بك زوجك كذا فقالت وحلفت انه ماجرى من ذلك شيء وسمع
الزوج الكلام فقام يصلي في السطح ويصيح الله كبير ليسمع العشيقة
ويعلمه انه لم يكن يصلي وهو جنب حتى يصلح بينه وبين المرأة بذلك.

وهذا ضد ما حدثني به ابو الحسن احمد بن يوسف بن البهلول التنوخي ان امرأة
من اهلهم بالانبار كانت قد جازت الاربعين سنة وخرجت من بيتها الى بغداد
في محنة عرضت لها فلما حصلت في الطريق رأت جملاً يدير دولاباً فقالت
ما هذا؟ فقيل لها دولاب الجمل فحلفت بالله انها ما رأت جملاً قط.

حدثنا ابو الحسين احمد بن محمد بن طريف المعروف باحمد الطويل قال
كتب اليّ ابو محمد عبد العزيز المافروخي وانا اتقلد حصن مهدي والغرض

«١» م. ع الصواب قليل الغيرة. «٢» م. ع الظاهر ان اصلها ينفق عليها وهو
اقرب الى الاصل.

والاعمال التي كنت أتقلدها مع ذلك وهو يتقلد ابصرة يسألني اطلاق تمر له اجتاز علي ويعرض بان مكافأة ذلك لا تذهب عليه فأطلقت له التمر بلا ضريبة ولا موهنة وكتبت اليه اعابه على هذه اللفظة فكتب اليّ كتاباً يعتذر حفظت منه قوله :

ووصل كتابك الذي أبان الله به فضلك وسهل الى سبيل المكارم سبقك وفهمته فهم معجب به ومتعجب منه وسرني صدره لا لقدر الحاجة في نفسي ولا في نفسك ولكن لما انفذه من بصيرتي فيك وقواه من معرفتي بك ووجدتك وقد اضطربت من لفظة ذكرت أنني ضمنتها كتابي وهي الايضاح والتلويح بالمكافاة والتمويض ومعاذ الله ان ينطق بذلك اساني او تجري به يدي لان مثله لا يجري الا عن ذي عطن ضيق الى ذي باع في المحامد قصير ولا هذه صورتك ولا صورتي واذا كانت النفس واحدة والاموال مشتركة فأني فائدة لي في ان تناولك ببعض مالك او ارد اليك ما هو لك فان تكن الصورة كما يخيل لي فانت أيديك الله المليم دوني وانت كنت بحمد الله ومنه من كلما يقع عليه اليوم بعيداً وان تكن الاخرى وهبت زلتي لمعذرتي فأني بشر غير معصوم والخطأ والنسيان جاريان عليّ .

انشدني ابو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال انشدنا ابو محمد المهلب في وزارته وعمله بين ايدينا وقد نصبت له في داره بالاهواز كلمة قصب وحركتها الريح فاستحسن ذلك وقال :

رأيت من الهوا فشمت بها اختلاس لحظ وخلت فيها وجيب قلب (١)
 وحدثني ابو الفضل قال حدثني رجل من شيوخ المتصرفين ببلدنا يقال
 له عباد بن الحريش قال لما كتب علي بن المرزبان عم أهلك (٢) لعمر بن
 الليث ورقت حاله بعده (٣) حتى قلده عمالة شيراز صادر المتصرفين على اموال
 الزمهم اياها وكنت ممن أخذ خطه عن العمل الذي كان يليه بشمانين الف
 درهم قال فأدبت منها أربعين الف درهم ونفدت حيلتي وحالي ولم يبق لي في
 الدنيا الا داري التي اسكنها ولا قدر لثمنها فيما بقي علي فلم ادر ما عمل
 وفكرت فوجدت علي بن المرزبان رجلاً سليم الصدر فعملت رؤيا واجمعت
 رأيي على ان القاه بها واجعلها سبباً لشكوى حالي والتوصل الى الخلاص قال
 فجلست وعملت الرؤيا وحفظتها واحتلت خمسين درهماً وبكرت من الغد
 قبل طلوع الفجر فدققت بابه (٤) كان له يجري مجرى حاجب من
 خلف الباب من انت فقلت عباد بن الحريش قال في هذا الوقت قلت نعم
 ففتح لي فدخلت وشكوت حالي وقلت هذه خمسون درهماً لا املك غيرها
 فخذها وادخلني اليه قبل تكاثر الناس عليه فان فرج الله عني فعلت بك وصنعت
 قل فدخل واستأذن لي وتلطف حتى ادخلني اليه وهو يستاك فقال ما جاء بك في
 هذا الوقت فدعوت له وقلت بشارة رأيتها في النوم البارحة فقال وما هي
 فقلت رايتك كأنك تحيي الى شيراز من حضرة الامير وتحتك فرس اشهب
 عظيم لم ير قط احسن منه وعليك السواد وقلنسوة الامير على رأسك وفي

«١» كذا بالاصل . «٢» الاصح: عمك . «٣» لعله عنده . «٤» يظهر انه قد سقط شيء .

يدريك خاتمه وحوالك مائة الف انسان من فارس ورجال وقد تلقاك .مير
البلد فترجل لك وانت تجتاز وطريقك كله اخضر منور مزهر والناس
يقولون ان الامير قد استخلف (١) على جميع امره قال وقصصت الرؤيا
وهذا معناها فقال خيراً رأيت وخيراً يكون نشاء الله فما تريد؟ قال فشكوت
حالي وذكرت امري فقال انظر لك بعشرين الف درهم وتؤدي عشرين
الف درهم قال خفت بالطلاق انه لم يبق لي الا مسكني وبكيت وقبلت يده
واضطربت بحضرته فرحمني وكتب لي الى الديوان باسقاط ذلك عني وانصرفت
ولم يمض الا شهر حتى كتب عمرو بن الليث الى علي بن المرزبان يستدعيه
ويأمره بحمل ما اجتمع له من الاموال وكان قد جمع له مالم يسمع قط باجتماع
مثله في وقت واحد من اموال فارس فانه جمع له ستين الف الف درهم قل فحملها
الى سابور (٢) وخرج وتلقاه عمرو بن الليث بجميع قواده واهل عسكره
وهاله عظم ذلك المال فاستخلفه على فارس واعمالها حرباً وخراجاً وفوض
اليه الامور كلها واذن اليه في الحل وال عقد بغير استئثار وخلع عليه سواداً له
وحمله على فرس اشهب عظيم الحلقة كان يعظمه عمرو ويكثر ركوبه ودفن
اليه خاتمه وردّه الى فارس قال فوافاني في زمن الربيع ولم يحل الحول على
قصتي معه فخرج امير البلد وقد صار من قبله ليستقبله وخرج الناس فتلقوه على
ثلاثين فرساً واكثر وخرجت فتلقيته في مضيق على العطفة التي في طريق

«١» م . ع الظاهر استخلفه

«٢» م . ع سابور كورة بفارس

خراسان وقد ذكرها (١) وبينها وبين البلد نصف فرسخ قال فوافني وهو على الصفة التي ذكرتها له في المنام الموضوع والدنيا على الحقيقة خضراء بآثار الربيع وزهره وحوله أكثر من مائة ألف إنسان وعليه قلدسوة عمرو بن الليث وفي يده خاتمه وعليه السواد وتحته الفرس الأشهب وقد تلقاه أمير البلد فترجل له . قال فحين رأيته ترجلت ودعوت له فلما رأيته تبسم واخذ بيدي وادنى (٢) السواد بي ثم تفرق الجيش بين يديه فلحقته الى البلد فلم استطع القرب منه لآزدحام الدواب فانصرفت وبأكرته من غدي مثل ذلك الوقت الذي كنت جئته ليلة الروثا فقال لي الحاجب من انت فقلت عباد فقال ادخل واستأذن فدخلت وهو يستاك فضحك الي وقال قد صحت روياك يا عباد الحمد لله فقال لا تبرح من الدار حتى انظر في امرك قال وكان باهله باراً ورسمه اذا ولي عملاً ان لا ينظر في شيء من امر نفسه حتى ينظر في امر اهله فيصرف من يصلح منهم للتصرف او يبره واذا فرغ منهم تدل الى الاخص فالأخص من حاشيته فاذا فرغ من ذلك نظر في امر نفسه قال فجلست في الدار الى قرب العصر وهو ينظر في امر اهله والتوقيعات تخرج بالصلات والارزاق وكتب التقليدات الى ان صاح الحاجب عباد بن الحريش فقامت اليه فقال اني ما نظرت في امر احد غير امر اهلي فلما فرغت

«١» م . ع قوله وقد ذكرها . مقدم وموضعه بعد قوله الان في المنام الموضوع
«٢» م . ع الظاهر ان اصلها وادنى سوادي . من قولهم وادنى سواده من سواده اي
قرب شخصه من شخصه .

منهم بدأت بك قبل الناس كلهم فاحتكم ما تريد. فقلت يرد عليّ المال لذي ادتيه وتقلدني العمل الذي صرفتني عنه. قال فوقع لي برد المال وتقليد العمل وقال امض فقد اوعز لك بالعمل فخذ ارتفاعه كله. قال وكان يستدعيني في كل مديدة ويحاسبني ولا يأخذ مني شيئاً انما يكتب لي روزات (١) من مال العمل ويصلح حسابات ويقبلها ويخلدها (٢) الديوان ورجع الى العمل وكنت كذلك الى ان زالت ايامه فرجعت الى شيراز وقد اجتمع لي مال عظيم صودرت منه على شيء يسير وجلست في بيتي وعقدت (٣) نعمة بالمال ولم طلب تصرفاً الى الآن .

حدثني ابو الفضل قال حدثني ابو الحسن ثابت بن سنان الحراني الطبيب انه رأى رقعة يتواردونها (٤) بخط جبريل بن بختيشوع المتطبب فيها ثبت ما وصل اليه من يحيى بن خالد البرمكي وبيته وجوريه واولاده من ضيعة وعقار ومال وغير ذلك يحتوي على سبعين الف الف درهم وتفصيل ذلك شيئاً شيئاً وانهم يحفظونها للمعجب ولا اعتبار قل فاستهولت ذلك وانصرفت فحدثت بذلك بعض الروساء ببغداد وكان بحضرته ابو الحسن

«١» م . ع يقال رازه روزاً اذا اختبره وجرب ما عنده والظاهر انه مأخوذ من كلمة روزي ومعناها بالفارسية يومي او يومية ثم نقلها الفرس انفسهم الى معنى الرزق والمعاش والمعنى على هذا انه كان يكتب لي عطاء من مال عملي . «٢» م . ع الظاهر ان الاصل يخلدها في الديوان او يدخلها الديوان . «٣» م . ع ولعل الاصل واعتقدت عقدة بالمال والعقدة كل مال يتأثل كالضيعة والعقار . واعتقده اشتراه . «٤» م . ع يقال وارده الماء وتوارده اذا ورده معه وبين الشاعرين توارد على معنى واحد ولعلها يتوارثونها .

علي بن هارون المنجم فقال وأي شيء تتعجب من هذا .

حدثني ابي عن ابيه قال (١) كنت بحضرة المتوكل في يوم مهرجان او نيروز وهو جالس و لهدايا تحمل اليه من كل شيء عظيم ظريف مليح الى ان ضربت دباب (٢) الظاهر وهم بالقيام فدخل بختيشوع الطبيب وهو ابن جبريل بن بختيشوع الاكبر فحين رآه المتوكل استدناه جيداً حتى صار مع سريره واخذ يمازحه ويلاعبه ويقول اين هدية اليوم فقال له بختيشوع يا امير المؤمنين انا رجل نصراني لا اعرف هذا اليوم فاهدي فيه فقال دع هذا عنك ما تأخرت الى الآن الا انك اردت ان تكون هديتك أخير الهدايا فيوري (٣) فضلها على الهدايا فقال ما فكرت في هذا ولا سمحت شيئاً فقال له بحياتي عليك . فضرب بيده الى كمه فاخرج منه مثل الدواة معمولاً من عود هندي لم يرق قط مثله كالأبنوس سواداً وعليه حلقة ذهب محرق (٤) لم يرق قط احسن منها عملاً ولا من الدواة قال فقدر المتوكل ان الهدية هي الدواة فاستحسنها فقال لا تعجل يا مولاي حتى ترى ما فيها ففتحتها واخرج من داخلها ملقة كبيرة محرق من ياقوت حجر قال فخطفت ابصارنا ودهشنا وتحيرنا فهبت المتوكل والس «٥» وسكت ساعة متعجباً مفكراً ثم قال يا بختيشوع والله ما رأيت لنفسي ولا في خزائني ولا في خزائن

«١» راجع عيون الانباء لابن ابي اصبعة ١ : ١٤٣ «٢» م . ع الدباب

حكاية صوت دب دب والدباب الطبل ودبب ضرب به ويحتمل ان يكون جمع دباب .

«٣» يريد فيري وهي لغة العامة . م . ع : الظاهر فيدري فضلها . «٤» يقال حرقه بالبرد

اذا برده وحك بعضه ببعض كحرقه . «٥» م . ع ابلس تحير ودهش وسكت غمماً .

ابائي ولا سمعت ولا بلغني انه كان للملوك من بني امية ولا للملوك المعجم
 مثلها فمن اين لك هذه ؟ فقال الناس لا يطالبون بمثل هذا وقد اهديت
 اليك ما قد اعترفت بانك لم تر ولم تسمع بمثله حسناً فليس لك مسألتني عن
 غيره . قال بحياتي اخبرني فامتنع . الى ان كرر عليه احلافه بحياته دفعات
 وهو يمتنع فقال ويحك احلفك بحياتي دفعات ان تحدثني حديثاً فتمتنع وقد
 بذلت لي ما هو اجل من كل شيء قال فقال له نعم يامولاي كنت حدثاً
 اصحب ابني جبريل بن بخيشوع الى دور البر مكة وهو ذاك طيبهم
 لا يعرفون خدمة طيب غيره ولا يثقون برأي غيره ويدخل الى حرمهم ولا
 يستتر اكثرهم عنه . قال فصحبته يوماً وقد دخل الى يحيى بن خالد فلما خرج
 من عنده عدل به الخادم الى حجرة دنانير جاريته فدخلت معه وافضينا الى
 ستارة منصوبة في صدر مجلس عظيم وخلقها الجارية فشكت اليه شيئاً وجدته
 فاشار عليه بالفصد وكان لا يفصد بيده وانما يحمل معه من يفصد من تلامذته
 ورسم الفصد عليهم خمسمائة دينار قل فندبني ذلك اليوم للفصد واخرجت
 يدها من وراء الستارة ففصدتها وحملت الي في الحال خمسمائة دينار عينا
 واخذتها وجلس ابني الى ان يحمل اليها شراب تشربه بحضرته وورمان اشار
 عليها باستعماله قال فحمل ذلك في صينية عظيمة مغطاة وتناولت منه ما ارادت
 وخرج الخراف مكشوقاً فرآه ابني فقال للخادم قدمه الي فقدمه اليه فكان
 في جملة جامه فيها رمان وفيها هذه الملعقة فحين راها ابني قال والله ما رأيت
 مثل هذه الملعقة ولا الجامعة قال فقالت له دنانير بحياتي عليك يا جبريل خذها

قل ففعل وقام ينصرف فقلت له تمضي فني اي شي* تدع هذه المعلقة قل
لا ادري قلت أهدي اليك غلافها فقال ان تفضل «١» فقلت هاتم «٢»
تلك الدواة فجاءوا بهذه الدواة فوضع ابي فيها المعلقة وحملها والجامعة في كمه
والنصر فـ . فقال له المتوكل جامعة تكون هذه معلقة يجب ان تكون
عظيمة القدر فحياتي ما كان من الجامعة ففاض طرب وامتنع امتناعاً عظيماً الى
ان احلفه سرا بأحياته . فقال اعلم اذا قلت اي شي* كانت طالبتني بها . فدعني
امضي واجيء بها واتخلص منك دفعة واحدة فقال افعل قل ومضى فلم يهن
المتوكل الجلوس ولم يأخذ القرار حتى جاء بختيشوع «٣» وأخرج من
كمه جامعة على قدر الزبدية او الجامعة اللطيفة من ياقوت اصفر فوضعها
بين يديه .

«البحث صلة»

«١» كذا بالاصل يريد تفضلي . «٢» م . ع : لم نجد هاتم والمعروف هاتوا «٣» كذا
بالاصل والمراد جبرئيل

رسالة الكرم

«مقاربة الأثمار وبواكيره»

في المخصص إذا قارب الشجر أن يثمر فإنه يقال له المثلّم . وفي اللسان في أرض فلان من الشجر الملم كذا وكذا وهو الذي قارب أن يحمل . ويقال أحنط الشجر والعشب وحنط يحنط حنوطاً إذا أدرك ثمره .

الاصمعي ونقول أنه لمسيب وربما حوّل العنب إذا ما ثمر في عام وأحال في الآخر . وفي المخصص وإذا لم تحمل الشجرة عاماً بعد أن كانت تحمل قبل أخلفت وحالت تحول حبالاً وهي شجرة حائل في شجر حوائل فإذا حملت عاماً ولم تحمل عاماً فقد عاومت . وفي مبادي اللغة وشجر واعد مرجو الثمر . وحائل لم تحمل سنتها .

وعوم الكرم نوعين إذا كثرت حملة عاماً وقيل آخر . وعنب معوم إذا حمل عاماً ولم يحمل عاماً . كذا في اللسان والتاج . وفي الاصمعي . وعنب معوم إذا ما حمل عاماً وقيل حملة عاماً . وفي مبادي اللغة ويقال شجرة معاومة وكرم معاوم إذا حملت سنة ولم تحمل أخرى .

البكر الكرم الذي حمل أول مرة ^(١) والجمع ابكار قال النازدق :
إذا من ساقطن الحديث كأنه جنى النخل أو ابكار كرم ثنق طف
أراد الكرم البكر الذي لم يحمل قبل ذلك .

وفي المخصص . وإذا عجلت الشجرة بالأثمار وباليتم قيل بكّرت وأبكرت وبكّرت تبكر بكوراً وهي بكور وجمعها بكور وإذا كان ذلك عادتاً فهي مبكار والثمرة باكورة ثم قال وإذا أخرت فهي مئخار . والبساكورة أول ما يدرك من الثمر . وفي المصباح باكورة الفاكة أول ما يدرك منها وأبكرت الفاكة أكلت باكورثها . قال أبو حاتم : الباكورة من كل فاكة ما يجمل الإخراج والجمع البواكير والبواكورات . وفي اللسان

(١) وفي اللسان الذي حمل أول حملة .

والبساكور من كل شيء المعجل الجي والادراك والاني باكورة . وابتكر الرجل اكل
باكورة الفاكهة . واول كل شيء باكورته . وفي اللسان وتسرع الكرم بسوقه غرة
وغرة الكرم سرعة بسوقه . وغرة النبات رأسه وغرة كل شيء اوله واكرمه .
الحمة الملاق والممة ملوق . معلق من عنب ولحم وغيره كذا في اللسان . وفي التاج
وفي بيته معاليق التمر والعنب جمع معلاق وفيه ايضاً وكل معلق به شيء فهو معلاقه .
ويقال انما الكرم . فضل ثلثه وأكل ثلثاه .

« حب العنب وثمره »

الحب اسم جنس للمنطة وغيرها مما يكون في السنبل والاكام جمعه حبوب كفسلس
وفلوس وواحدته حبة وتجمع على حبات على لفظها وعلى حباب ككبة وكلاب . وفي
اللسان والحب الزرع صغيراً كان او كبيراً واحدته حبة والحب معروف مستعمل في اشياء
جدة . حبة من بر . وحبة من شعير حتى يقولوا حبة من عنب والحبة من الشعير والبر
ونحوهما والجمع احبات وحبات وحُبُوب وحُبَّان والاخيرة نادرة . وفيه ايضاً الحبة
بزور البقل والرياحين وبزر كل نبات ينبت وحده من غير ان يبذر . وفي التاج الحبة
بالضم عجم العنب وقد يخفف فيقال الحبة كشبة وسياًقي .

وفيه ايضاً والحبة كشبة حبة العنب وقيل هي العنب اول ما ينبت من الحب ما لم
يغرس جمعه حبي كهدي .

الأصمعي اول ما يخرج من العنب نسيجه ثمرأ . وفي القاموس الثمر محركة حمل الشجر
ثم قال والواحدة ثمرة وثمره كسرة^(١) . وفي المصباح الثمر بفتحين والثمرة مثله
فالاول مذكور ويجمع على ثمار مثل جبل وجبال ثم يجمع الثمار على ثمر^(٢) مثل كتاب
وكتب ثم يجمع على أثمار مثل عنق وأعناق . والثاني مؤنث والجمع ثمرات مثل قصبة
وقصبات . والثمر هو الحمل الذي تخرجه الشجرة سواء أكل او لا فيقال ثمر الاراك وثمر
العوسج وثمر الدوم وهو المقل كما يقال ثمر النخل وثمر العنب . قال الازهري وثمر الشجر

(١) جمعها ثمره كسرة ولا تكسر لقلة فعلة في كلامهم .

(٢) في اللسان وقد يجوز ان يكون الثمر جمع ثمرة كشبة وخشب .

أطلع ثمره أول ما يخرج منه فهو مثمر . وفي اللسان والشيبار كالتمر . وفيه وثمر الشجر وأثمر
صار فيه الثمر وقيل الثامر الذي بلغ أن يثمر والتمر الذي فيه ثمر . وشجر ثامر إذا
أدرك ثمره وشجرة ثراء ذات ثمر .

وأثمر الذبذبات نفض نوره وعقد حبه . وقال ابن الأعرابي أثمر الشجر إذا طلع
ثمره قبل أن ينضج فهو مثمر .

الحامل ثمر الشجرة والكسر لغة فيه . وقيل الحل بالكسر ما ظهر من ثمر الشجر
والحل بالفتح ما بطن منه كأنه ذهب به إلى ما تحمله المرأة في البطن . وحملت المرأة
والشجرة علق . وشجر حامل . وفي التاج شجرة حاملة ذات حمل . وفي الخصص الحامل
منها المظم . وفي المصباح حملت الشجرة حملاً أخرجت ثمرتها فالثمرة حمل تسمية بالمصدر
وهي حامل وحاملة .

وأطعمت الشجرة أثمرت وأطعمت الثمرة أدركت أي صارت ذات طعم وأطعمت
الشجرة أدرك ثمرها ^(١) وشجره مطعم مثمر يؤكل ثمره والطعم بالفتح الأكل وما يؤديه
الذوق من حلاوة وحموضة ونحوهما . وما يشتهي من الطعام .

والطعم بالضم الطعام . والحب الذي يلقى للطير .
الأكل الثمر يقال أكل بستائك دائم وكل ما يؤكل فهو أكل وآكلت الشجرة
أطعمت وآكل النخل والزرع وكل شيء إذا أطم وأكل الشجرة جناها .

« العنب وحبه »

العنب والعنباء ^(٢) بالمد ثمر الكرم واحدته عنب . وقال الجوهري فإن جمعته في
ادنى العدد جمعته بالياء فقلت عنبات وفي الكثير عنب وأعناب . وقد عنب العكرم

(١) وأطعمت الشجرة على افتعلت أدركت ثمرتها يعني أخذت طعماً وطابت .

(٢) قال الشاعر :

تطعمين أحياناً وحيناً تسقين العنباء المنقى والتين

كأنها من ثمر البساتين لا عيب إلا انهن يلهين

عن لذة الدنيا وعن بعض الدين

تعنيًا • والعذاب كشداد بائع العنب ورجل عاب ذو عنب • والعنب الخمر كما كان الخمر العنب في بعض اللغات • قال سفي الخخص العرب تسمي العنب خمرًا والخمر عنبًا • قيل ومن الاول قوله تعالى : (اني اراني أعصر خمرًا) اي عنبًا • ونقل ابن رجلاً رأى يمانيا قد حمل عنبًا فقال ما تحمل فقال خمرًا فسمي العنب خمرًا وقيل انها لغة يمانية ومن الثاني قول الراعي :

ينازعني بها ندمان صدق رشواء الطير والعنب الحقيتنا^(١)

فقد أراد الخمر • ويقال عنب خمرى يصلح للخمر •

الجبني العنب قال الشاعر : (حب الجني من شرع نزول)

يريد ما شرع من الكرم في الماء وكل ما يجني فهو جني وجنة وجم الجني أجني وقد يجمع على أجنياء • واكثر ما يستعمل الجني فيما كان غصًا • ويقال أجني العنب وأجني الكرم اذا خرج جناء وأجني الثمر أدرك وأجني الشجر صار له جني يجني فيؤكل • وثمر جني كعني جني من ساعته وقيل الجني الثمر المجني مادام طرياً وجني الثمر ونحوها وتجنائها واجنيهاها نساؤها من شجرتها • ويقال على الرجل تعليلًا اذا جني الثمرة مرة بعد أخرى فهو معلل كمحدث وفعله التعليل •

الفطر بالكسر والضم العنب^(٢) اذا بدت رؤوسه لان القضبان تنفطر عنه •

البرم بفتحين حب العنب اذا كان مثل رؤوس الدر او فوفة • وقد أبرم الكرم •

المرجود كزبور اول ما يخرج من العنب كالشآليل •

الحثر محرقة حب العنب وذلك بعد البرم حين بصير كالجمل الجلال^(٣) • وفي

اللسان والحثر حب العنقود اذا تبين • والحثر من العنب ما لم يوقع وهو حامض صلب لم يشكل ولم يرق • وفي الاصمعي فاذا فرغ من نفضه قيل حثر وفصل •

(١) هكذا رياه في اللسان والتاج وفي الخخص ونازعني بها الخ والحقين لمجوعول في

الزق • (٢) هكذا في التاج واللسان وفي الخخص اذا بدت رؤوس حب العنب كان

فطرًا ثم كان زيمًا اذا كان مثل رؤوس الدر • (٣) هو ثمر الكزبرة وقبل حب السمسم

و يقال لما في جوف التين من حب الجللان •

النفض^(١) . حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض . ويقال نفض الكرم اذا تفتحت
عناقيده واننفض الكرم نضروقه .

وجذر العنب صار حبه فوق النفض . وفي اللسان جذر^(٢) البت والشجر
وجذر^(٣) جذارة وجذر وأجدر طلعت رؤوسه في اول الربيع وذلك يكون عشراً او
نصف شهر وكذلك الأرض .

ويقال فصل الكرم . خرج حبه صغيراً أمثال البؤسن (العدس) فاذا عظم فكان
مثل الحمص قالوا أعبر اي خرج هبه وفي الناج الحُبْر والمُبرَة . حب العنب .
أعصى الكرم خرجت عيدانه او عصيته ولم يثر . قال الأصمعي وهو حين يكون
في العيدان مثل حب الخردل . « للبحث ضلة »

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي العربي



مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

(١) هكذا في اللسان . وفي المخصص النفض حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض
او ينقبض وفي عبارة الأصمعي ثم يكون نقضاً حتى يأخذ بعضه ببعض او ينفض . وفي
القاموس والنقض بالنزك ما سقط من الورق والتمر وحب العنب حين يوجد بعضه في
بعض وقد زاد الزبيدي شارحه على الجملة الثانية فقال والنقض ايضاً ما تساقط من حب
العنب الخ عبارة القاموس وقد تبين أن هذه الزيادة ليست في كلام اللسان والمخصص
والأصمعي فاعلمها سهو . فتأمل .

(٢) من باب قعد . (٣) ككرم .

مطبوعات حديثة

مختارات المقتطف

« وهي طائفة منتخبة ومبوبة من انباء ارتفاع العلوم في الثلث الاول من
« القرن العشرين ، عدد صفحاته ٢٨٠ صفحة وفيه عدة أشكال »

نعم الهدية هذا الكتاب من المقتطف الى مشتركيه فلقد حوى من الانباء العلمية التي
اعتدنا قراءتها في آخر صفحات المقتطف عدداً وافراً رنبت على ثلاثة اقسام وهي اولاً
العلوم الطبيعية والرياضية ومنها النور والحرارة والجاذبية والكهرباء والكيمياء والفلك
والجيولوجية . ثانياً علوم الاحياء ومنها العلوم المختصة بالنبات والزراعة والحيوان
والانسان . ثالثاً العلوم التطبيقية وأشهر بها الى علم الآثار والعاديات وما كشف العلماء
منها في اوائل هذا القرن ، ثم تقدم المواصلات في البر والبحر والجو ونقدم المحاضرات
بلا أسلاك . الخ .

وأعظم فائدة للكتاب ان القاري يجد فيه معلومات شتى في تقدم العلوم المذكورة
مجموعة في مجلد واحد لولاء لكان القاري يحتاج الى مراجعة عدد كبير من اجزاء المقتطف
او المجلات الاجنبية . ثم انه يتذوق فيه سلاسة اللغة العلمية لغة العلامة الفقييد بعقوب
صروف الذي لم يجاره بها احد في حياته ولم يبلغ مبلغه بعد مما انه على ما نعلم ويعلم رفاقنا في
المجمع العلمي العربي بدمشق .

ولا شك ان لغة المقتطف العلمية تدنت قليلاً بعد الفقييد وهذا امر لا يستغرب لانه
لا يمكن للسيد فؤاد صروف ولا غيره اياً كانوا ان يبحثوا في العلوم الحديثة على كثرتها
بلغة بعقوب او يصلحوا مقالات الكتاب كما كانت يصلحها ولكنني (وانا قائم على تتبع
المصطلحات العلمية الطبيعية والزراعية في المقتطف وغيره) اتوهم بالسيد فؤاد انه سيكون
خير خلف للفقييد في هذا الباب وهذا ما يدر كل الذين يغارون على لغتنا الكريمة .

وكنيت فيما مضى قرأت في مجلدات المقتطف معظم الأبحاث الواردة في هذا الكتاب
واقبست كثيراً مما حوته من المصطلحات العلمية وقد عثرت اليوم في الصفحة ١٧٧ على لفظة

« زبانبين » بمعنى قرنين صغيرين وهذه اللفظة فصيحة وهي خير اسم للعنوين اللذين يسميان في علم الحشرات (Antennes) .

ولا بد لي وأنا اكتب في مجلة المجمع من لفت نظر السيد فواد المحترم الى بعض هفوات منها استعماله في الصفحة (ب) من المقدمة لفظة نوع بدلاً من صنف او ضرب فالانسان لا يستطيع اليوم ان يولد بالوسائل العلمية نوع الورد مثلاً بل يولد أصنافاً من نوع الورد (اوضروباً) . وكنت اود لو استعمل لفظة الجسور بدلاً من الكباري في الصفحة (ح) لان اللفظة التركية الأخيرة لا يفهمها غير المصرين ولذلك يمكن وضعها ضمن هلالين لا الاختصار عليها . وفي الصفحة نفسها لفظة النجعة وهي شائعة مع اني لم أجدها في الامهات فجمع نسج نسج وجمع نسجة نسائج . وجاء في الصفحة ٥٠ « نتروجين الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا » والصحيح « تترات الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا » او « نتروجين تترات الصودا أسرع فعلاً من نتروجين سلفات الامونيا » . وبعد اننا ننهي اصحاب شيوخ المجالات بهذا الكتاب الذي هو يد جديدة تضاف الى ما لم من الأيادي البيضاء على لغتنا العربية .

« الشهابي »

الاسمدة واستعمالها

« تأليف السيد حسني المقدادي ، وهو يحتوي على ١٦٥ صفحة »

« بقطع صغير »

يشتمل هذا الكتاب على أبحاث في النبات وغذائه والتربة وعناصرها والاسمدة وتركيبها واستعمالها في أهم الزروع والأشجار .

ويظهر ان المؤلف حديث العهد بالتأليف لان رأيه في كثير من الامور لا يزال فطيراً فقد قسم أنواع الأتربة في الصفحة (٤٣) وما يليها تقسماً ناقصاً ومغلوطاً وجعل الكلس في أهم سهول الشام « أقل من كاف للزروعات » ولا سيما في الاتربة الطينية الكلسية حيث مقدار الكلس عظيم . وقال ان الآزوت (نتروجين) في أكثر نمودجات الأتربة التي أخذت من النحاء الشام وحلت هو أقل من نصف في الألف مع اني نشرت